جامعة الشهيد حمه لخضر

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

النشاط الحرفي في الجزائر خلال القرنيين من 17م إلى 19م

مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبتين:

حورية قرنيط

خديجة برشاوة

الأستاذ المشرف:

د .عبد الكامل عطية

لجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	مؤسسة الانتساب
د. أحمد بلعجال	رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمه لخضر ـ الوادي
د. عبد الكامل عطية	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر ـ الوادي
أ. الكاملة فرحات	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر ـ الوادي

السّنة الجامعية: 1438-1439/2017-2018

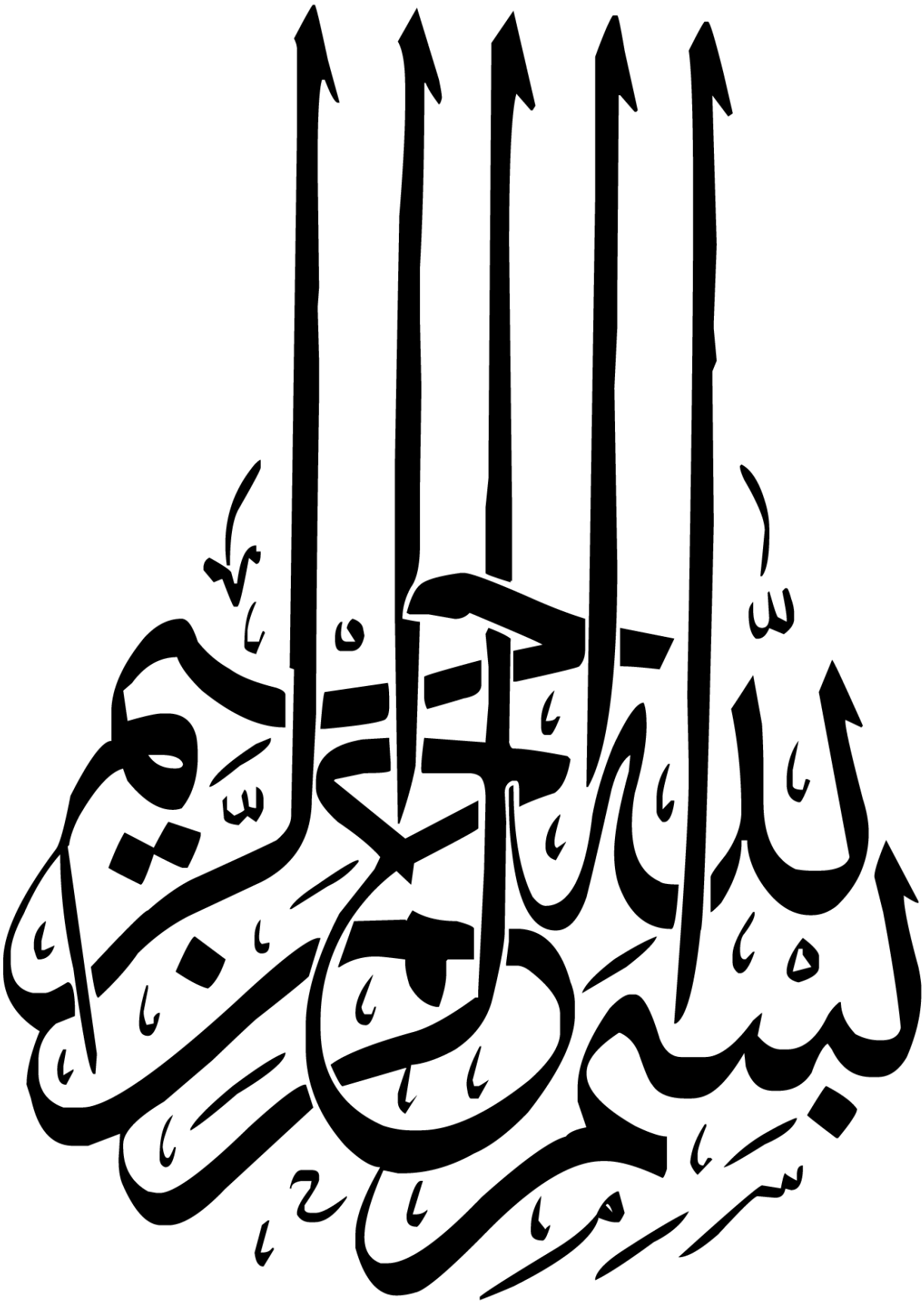
بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة التوبة، الآية: 105]

إهداء:

إلى من قال المولى عز وجل فيهما: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: 24].

إلى إخوتي وأخواتي...

إلى رفاق الدرب...

إلى أحباب القلب...

إلى كل من أحبنا في الله...

إلى كل من ضحى من أجل هذا الوطن الحبيب الجزائر...

إلى كل عين باتت ساهرة لتعلو الراية وتحفظ العزة وتعيد المجد لهذه الأمة.

لتحيا الجزائر بلادًا للعِزّة والكرامة

شكر وعرفان:

يقول المولى عز وجل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 07].

فالحمد والشكر لله الذي سدد خطانا في هذه المذكرة، عدد ماخطه القلم، وأحصاه الكتاب ووسعته الرحمة، الحمد لله حمدا كثيرا يملأ الميزان، ويخفف الأوثان.

نتوجه بالشكر والتقدير في بادئ الأمر للأستاذ الدكتور المشرف عطية عبد الكامل، الذي أعاننا ووجهنا بتوجيهاته الخادمة لهذا الموضوع جعلها الله في ميزان حسناته.

كما أتقدم بالشكر والتقدير لجميع الأساتذة الكرام بجامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، وطاقم إدارة العلوم الإنسانية وكل من كانت له بصمة أو فكرة وضعها معنا في هذه المذكرة ونخص بذلك القريب والبعيد.

ونسأل الله العظيم أن يتقبل منا هذا العمل لوجهه الكريم والحمد لله رب العالمين وسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

المختصر	معناه
(د. س):	دون تاريخ
(تح):	تحقيق
(تع):	تعليق
(تر):	ترجمة
(تص):	تصحيح
(مر):	مراجعة
(ج):	جزء
(ط):	طبعة
(ص):	صفحة
(ص ـ ص):	صفحات
(ع):	عدد
(هـ):	هجري
(م):	ميلادي
(مج):	مجلد
(تق):	تقديم
(د. م):	دون مكان
(P):	Page
(T):	Tome
(Opcit):	opere-citato (auvrage cite)

مقدمة

تعتبر العادات والتّقاليد بمثابة تعريف لأصالة وثقافة هويّة بلد ما، وتميزه عن غيره من المجتمعات والبلدان، وبإعتبارها جزء من الهويّة الثقافيّة والتراث الوطني، تعترف كل دولة بأن واجب القيام بتعيين التّراث الثقافيّ الطبيعي الذي يقوم في إقليمها وحمايته والمحافظة عليه وإصلاحه ونقله إلى الأجيال المقبلة.

وتختلف العادات والتّقاليد من بلد إلى آخر بل من منطقة إلى أخرى ففي الجزائر مثلا نجد إختلافا واسعا بين سكان الشّرق والغرب على غرار الشّمال والجنوب، ناهيك على أنّ هذا البلد غنيّ بالعادات والتقاليد والنّشاطات الحرفيّة منّذ مَرِّ العصور فهي تُمثّل رمز أصالته وإمتداد جذوره في التّاريخ البعيد، لذا نجد عندهم تمسكا شديدا للعادات والتّقاليد خاصة أولئك الأجيال الذين كانوا أولي عهد قريب بتاريخ أجدادهم السّابقين. فالعادات التقليديّة والنّشاطات الحرفيّة تضرب في عمق الأصالة لديهم وتعكس مدى حبّهِمْ للبساطة إذ يعتبرونها منبعا للفخر والإعتزاز، وتعدّ الموضوعات الاجتماعية في ميدان التّاريخ جانبا مكملا للموضوعات السياسية والعسكرية والإدارية، ذلك لأن الدّولة مهما كان الموقع الجغرافيّ الذي ظهرت فيه والعهد الذي عاشت فيه ونظام الحكم الذي قامت عليه، فإن تاريخها العام لا يمكن فهمه من خلال علاقاتها السياسية ونشاطاتها العسكرية ونظمها الإدارية والمالية فقط، وإنما من خلال النّشاط الذي يقوم به أفرادها ومظاهر حياتهم الاجتماعية.

وبما أنّ النّشاطات الحرفيّة من بين العادات والتّقاليد الاجتماعية التي يزاولونّها، والتي تزخر بها الجزائر، وسعت للمحافظة عليها ونقلّها للأجيال، فقد برز هذا النّشاط الحرفيّ لدى كثير من دُورِ الجزائر وعرف هذا النّشاط الحرفيّ زخرًا وتنوعا من خلال المحطّات التّاريخية الهامة التي مرّت على الجزائر، ونذكر هنا الدّولة العثمانيّة فبدخول هذه الأخيرة إلى الجزائر زاد تنوّع النّشاط الحرفيّ وأصبح ذو اهمية بالغة في تلك الحقبة الزّمنية. فتعالوا بنا نتعرف على النّشاطات الحرفيّة في العهد العثماني لنتطلّع على أحد أهم المعالم التّاريخية في تاريخ العادات والتّقاليد آلا وهو النّشاط الحرفيّ.

1- أهميّة الموضوع:

تكمن أهميّة هذا البحث في عدّة نقاط ومن بينها:

- التعرّف على أهم النّشاطات الحرفيّة في الجزائر خلال الحكم العثماني وبعده.
- إبراز الدّور الفاعل للحرفيّين من خلال التّأثر والتّأثير في القطاع الصناعي والتجاري والزراعي.
- إبراز أهم التنظيمات الحرفية خلال هاته الحقبة التاريخية التي سهلت من جهود الحرفيين.
- محاولة الحفاظ على تراث البّلاد بالخصوص والتاريخ الوطنيّ بشكل عام.
- إبراز أهميّة النّشاط الحرفيّ وأثره في الحياة الإقتصاديّة والإجتماعيّة ودوره إقليميا ووطنيا.

2- دواعي إختّيار الموضوع:

ومن دواعي إختيارنا لهذا الموضوع:

- الأهمّيّة الكبرى للموضوع التي تستدعي البحث والإهتمام.
- الرّغبة الذّاتية للتعرف على الأنّشطة الحرفيّة الّتي عرفتها الجزائر.
- التّعرف على أهم النّشاطات الحرفيّة الّتي مارسها سكان الجزائر في الفترّة الممتدّة من القرن 17م إلى القرن 19م.
- تكوين مرجعيّة فكريّة حول النّشاطات الحرفيّة في الجزائر، إبّان الفترّة العثمانيّة الممتدّة من القرن 17م إلى القرن 19م.
- إظهار مدى تأثير النّشاطات الحرفية على المجتمع الجزائري.
- تشّجيع الأستاذ المشّرف على دراسة هذا الموضوع.

3- منهج البحث:

وفي ما يتعلق بالمنهج المتّبع في الدّراسة فهو في الواقع ليس منهجا واحدا وإنما مناهج متعدّدة وذلك حسب الموضوع المعالج والأسئلة المطروحة بخصوصه، ولكنّنا ركزنا على المنّهج التّاريخي التّحليلي فقد إعتمدنا على جمع المادّة التّاريخية الّتي تتعلق بموضوع البحث وقمنا بإعادة ترتيبها وفق التّسلسل التّاريخي والبناء المنهجي للدّراسة وقمنا بتحليل هذه المادّة

بالإستعانة بمختلف المصادر والمراجع وفي الأخير حاولنا الخروج بمجموعة من النّتائج في خاتّمة الموضوع.

4- أهداف الموضوع:

أما عن الأهداف المنشودّة في هذا البحث فهي كالآتي:

- إعتبار أنّ النّشاط الحرفيّ المرجع الأساسي والإلزامي، فكل نشاط حرفيّ يمثل موروث ثقافي يعبر عن الثقافة التي تزخر بها البلاد.

- تفاديا للإجراءات المستقبليّة والتي تتعلق بإظفاء بعض التعديلات من قبل الحرفيّ من خلال إلغاء نشاط أو تغيير في محتواه قد يسبّب في فقدانه للبّعد الإقّتصاديّ..

- للفت الإنتباه وإعادة إحياء الأنشطة الحرفيّة المندثرة من أجل إسترجاع أصالة البلاد.

- لتوخي الحذر في إستثمار الحرف من أجل الحفاظ على الموروث الثقافيّ والحضاريّ للبلاد.

خطّة البحث:

وجاءت دراسة المذكرة مقسّمة على الشّكل الآتي: مقدّمة ومدّخل وثلاثة فصول وخاتّمة، حيث تضمّن المدخل تقريب المصطلحات المندّرجة ضمن النّشاط الحرفي وضبطها، بالإضافة إلى الأوضاع التي شهدها النّشاط الحرفيّ في الجزائر قبل وبعد مجيئ العثمانيّين، أما الفصل الأول فتناولنا فيه مدخل إلى الصّناعة الحرفيّة في الجزائر، ويندرج تحته ثلاثة عناصر الأول بعنوان البنيّة الاجتماعيّة بالمدن والأرّياف. والعنصر الثّاني بعنوان نوعية النّشاط الاقتصادي بالمدن والأرّياف والعنصر الثّالث بعنوان الحرّفة كنشاط أساسي لدى سكان المدن والأرّياف.

أما الفصل الثّاني فتطرقنا فيه إلى النّشاط الحرفيّ في الجزائر في عهدّ الدّولة العثمانيّة. ويندرج تحت هذا الفصل ثلاثة عناصر، الأول بعنوان نبذة شاملة للنّشاط الحرفيّ في الجزائر في العهدّ العثماني. الثاني بعنوان أهمّ النّشاطات الحرفيّة في الجزائر. الثالث بعنوان واقع الحرفة في الجزائر وما آلت إليه.

أما الفصل الثّالث والأخير والمعنون بنموذج القصبة في النّشاطات الحرفيّة. ويندرج تحته هو الآخر ثلاثة عناصر، الأول معنون بمدخل لمدينة القصبة بالجزائر، والثاني معنون

بواقع النّشاط الحرفيّ في ظلّ الحكم العثمانيّ بالقصبة. والثّالث معنون بنماذج عن النّشاطات الحرفيّة التي اشتهرت بالقصبة.

كما أنهينا دراستنا بخاتّمة شملت أهمّ ما توصلنا إليه من إستنتاجات حول موضوع البحث، وتضمّنت الدّراسة مجموعة من الملاحق في شكل صور لما تناولناه في صلب الموضوع.

5- الدّراسات السّابقة:

بعد الإطلاع على جملة من الرّسائل العلميّة الّتي تضمّنتها أدراج المكتبة العربيّة الجزائريّة خصوصا، والإلكترونيّة عموما، فتبيّن لنا أنّ هذا الموضوع درس من عِدّة أشكال وجوانب:

فقد روّجت أفكارا تتلخص في أنّ الوّجود العثماني كان عبارة عن" أقليّة تركيّة كانت بمنأى عن المجتمع" ولم تكترث به وإنصرفت إلى البحر"، وهي فكرة تلخصّت في مقولة: " جاء العثمانيون من البحر وظلّوا ينظرون إلى البحر".

وقد تناولت الدّراسات هذا الموضوع المتعلق بالنّشاط الحرفيّ بدرجات متفاوتة البُنَى الإقتصاديّة والإجتماعيّة، فقد أعدّت عائشة غطاس دراسة مقاربة إجتماعيّة وإقتصاديّة بعنوان الحرف والحرفيّون بمدينة الجزائر1700-1830 لنيّل شهادة الدّكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2001/2000م. حيث تناولت الوضع الإجتماعي وغطت مجالا واسعا على جملة من الحرف وتأثيرها على الوضع الإجتماعي والإقتصادي.

كما أعدّ خليفة حماش رسالة مقدّمة لنيّل الدّكتوراه الدّولة في التاريخ الحديث بعنوان الأسّرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، كليّة العلوم الإنسانيّة والإجتماعيّة، جامعة منتوري، قسنطينة، 1427هـ/2006م. حيث تطرّق فيها إلى موضوع النّشاط الحرفيّ في جانب من جوانب موضوعه.

كما أعدّ أرزقي شويتام دراسة بعنوان المجتمع الجزائري وفعاليّاته في العهدّ العثماني1519-1830، وتناول من خلالها التّفاعل الإجتماعيّ والإقتصاديّ للمجتمع مبرزا النّشاطات الإقتصاديّة الّتي كانت قائمة آنذاك.

ومن خلال هاته الدّراسات تبيّن لنا أنّ هذا الموضوع لم نجد من خَصّهُ بالدّراسة بالشّكل الّذي إرتأيناه خاصّة في تناول النّشاط الحرفيّ في الجزائر خلال القرنيّين 17م، إلى 19م، كموضوع لمذكّرة. وإنما درس هذا الموضوع ضمنيّا مع الموضوع الّذي يتحدّث عليه الباحث في رسالته، أما دراستنا نحن فهي مخصّصة أكثر من خلال الموضوع والفترّة الزّمنية المحدّدة وهو **النّشاط الحرفيّ في الجزائر خلال القرنيين من11هـ/ 17م، إلى13هـ/ 19م.**

تقيّيم المصادر والمراجّع:

ولدّراسة أي موضوع من الضّروري الإعتماد على مجموعة من المصادر والمراجّع المتخصّصة لإثراء الموضوع والإحاطة بكل جوانبه، فخلال دراستنا لهذا الموضوع إعتمدنا على عدّة مصادر ومراجّع أفادتنا في بناء الموضوع أهمًها:

أ) **المصادر**: كتاب المرآة لحمدان خوجة وهو كتاب طرح فيه صاحبه عدّة معطيات تاريخيّة وجوانب عن المعلومات الاجتماعيّة للمجتمع الجزائري خلال العهدّ العثماني.

وكتاب مذّكرات قنّصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، لوليام شالّر، تعريّب وتحقيق إسماعيل العربي، وقد تذناول الكتاب بعض الملامح الرئيسية للعلاقات الجزائرية الأمريكية، ويبرز بوضوح الدّور الذي قام به القنصل أثناء ممارسته مهامه الرّسمية.

ب) **المراجّع**: كتاب الجزائر في التّاريخ لصاحبه ناصر الّدين سعيدوني الّذي تعرض فيه إلى الجانب الإقتصاديّ والإجتماعيّ في تاريخ الجزائر أثناء العهدّ العثماني، وكتاب المجتمع الجزائري وفعاليّاته أثناء العهدّ العثماني لصاحبه أرزقي شويتام، وكتاب الجزائر خلال الحكم التركي1511-1830م لصاحبه صالح عباد. وكتاب الحرف والحرفيّون بمدينة الجزائر 1700-1830م لصاحبته عائشة غطّاس.

وإلى جانب ذلك إعتمدنا على مجلّة الدّراسات التّاريخيّة والحضاريّة (مجلّة علميّة محكمة)، بالإضافة إلى عدّة مذكّرات الّتي ساعدتّنا كثيرا في دراسة هذا الموضوع.

طرح إشكاليّة الموضوع:

نظرا إلى الثّراء الواسع الذي يّتميز به الموضوع فإنّه من الطبيعيّ أن نطّرح أسئلة عديدة ومشبعة قد يصعب الإلّمام بها في عمل واحد، وإنّما تحتاج إلى أعمال كثيرة ومتعدّدة.

ويعدّ النّشاط الحرفيّ من أهمّ العادات والتّقاليد الّتي برزت لدى سكان الجزائر وكانت الفترة الزّمنية الممتدّة من القرن 17م إلى القرن 19م، من أبرز الفترات التي أَوْلَتْ لهذا الجانب إهتماما كبيرا، لذا تسعى الدّراسة لتسليط الضّوء على دور النّشاط الحرفيّ في الجزائر في العهدّ العثماني وصولا إلى دخول الإستّعمار الفرنسي، وفي هذا الصدد نطرح الإشكال التّالي: **ما هي طبيعة الحرف والنّشاطات الحرفيّة في الجزائر خلال القرنين (17م-19م) التي كان المجتمع بتركيبته (سكان المدن؛ وسكان الأرّياف) يمارسها أثناء هاته الفترّة؟** محاولين الإجابة على عدّة تساؤلات أخرى من بينها:

ما هي ملامح تنّظيم النّشاط الحرفيّ في المجّتمع الجزائري؟ وما هو الوضع الّذي آلّ إليه هذا النّشاط؟

6- الإطار التّاريخي للدّراسة:

عرفت الجزائر خلال الفترّة العثمانيّة الّتي إبتدأت في الرّبع الأول من القرن السّادس عشر (1516م) بالتّحرش الإسباني، وإنتهت في الرّبع الأول من القرن التاسع عشر (1830م) بالإحتلال الفرنسي وضعا إجتماعيا متميزا ونشاطا حرفيا إقتصاديا خاصا تحمكّت فيه عدّة عوامل على مختلف أوجه الحياة الإقتصاديّة والإجتماعيّة. بين تأثّر وتأثّير بين الحرفة والمجتمع الحرفي، محاولين تتبع تطورات الحرف والحرفيّين، وما آلّ إليه هذا النّشاط بدخول الإستعمار الفرنسي.

7- الصّعوبات:

كأي بحث علمي تتخله عدّة صعوبات، فقد واجهتنا أثناء إنجازنا لهذا العمل عدّة عوائق أهمّها:

- إتّساع مجال الدّراسة جغرافيا وزمنيا، فكل عنصر من عناصر الموضوع يمكن أن يكون بحث أو دراسة مستقلة بذاتها. لذا فلا يمكننا الإلّمام بكل النّشاطات الحرفية الّتي عرفتها الجزائر خلال العهد العثماني وإن ذكرنا بعضها.

- وجود صعوبة في ندّرة المصادر والمراجع التي تناولت النّشاط الحرفيّ بشكل مباشر، وحاولنا الإلمام بالموضوع بشكل عام وتذليل هذه الصعوبات.

- كذلك من بين الصّعوبات التي إعترضتنا أثناء هذه الدراسة مشكل العدد، إذا أنّ هناك حِرفا قد إندثرت وأخرى بقيت على إستمراريتها للوقت الرّاهن، فلا يمكننا تتبّع تطوّر عدد الحرف والوقوف عند كل حرفة.

وفي الأخير نرجو من الله أن نكون قد وفقنّا ولو في القليل بالإلّمام بجوانب الموضوع للإفادة والإستّفادة.

مدخل تمهيدي

اشتغل الإنسان على مرّ الزمان، لكسب قوت يومه، وضمان البقاء على وجه الأرض، فمارس العديد من المهن والأشغال، التي جرّته في كثير من الأحيان إلى الإبداع، فساهم بشغله على تطوير حياته من عدّة جوانب، ومن بين هاته الأشغال التي مارسها الإنسان لتطوير حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، الحِرفة أو الصَّنعة، حيث كانت هذه الأخيرة الأصل في كثير من الأشغال، التي توارثها الأجيال عن بعضهم البعض، وكان لها من الأثر والأهمّية البالغة على حياتهم بشكل عام، لكن بعض الدول أدّت إلى فرض قيود واستحواذ على الكثير من أصحاب النّشاطات الحرفية ممّا بيّن أن الحرفة هي الوسيلة المتحكّمة في جوانب عديدة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسيّاسية.

فالحِرفة كمصطلح لغوي لها عدّة معاني، كما أنها تتداخل مع مصطلحات أخرى متشابهة لها، ومن هذا المنطلق نقِفْ على تعريف الحرفة والنّشاط الحرفي وما يمكن أن نفرّق بينهما وبين المصطلحات المشابهة لها.

1. تعريف الصّنعة والحرفة: لغة واصطلاحا.

ورّد في لسان العرب أنّ الصّنعة هي حرفة الصّانع وعمله الذي يعتمد فيه على يده حيث يستعملها في صنع الأشياء، كما يعتمد على ذكاءه في تحويل أشياء أخرى يريدها، وهو محور الإنتاج في الحياة الاقتصادية. والحرفة (جمع، حرف) مايكتسب به الرزق من عمل؛ الصّناعة.[1]

[1] جمال الدين إبن منظور، لسان العرب، تح،عبد الله علي الكبير،محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ط3، دار صادر، بيروت، 2010، ص 2508.

وقد كان هذا المصطلح مستعملا في البلاد العربية في القرن 18م، لكن حتّى المنتصف الثاني من القرن19م، فقد أصبح مصطلح "الحرفة" بديلا عن مصطلح "الصّنعة"[1].

وكما جاء في معجم الوسيط:

الحرفة: وسيلة الكسب من زراعة وصناعة، وتجارة وغيرها. ويقال حرفته: أن يفعل كذا: دأبه وديدنه.

الحرفي: الشخص الذي يكسب عيشه بالعمل في حرفة بصفة مستمرة ومنتظمة.[2]

والحرفة هي مهنة تتطلب نوعا خاصا من العمالة الماهرة.[3] وهي أيضا صناعات أو حرف يدوية فنية لا تتطلب وسائل معّقدة وتعكس الواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمعات وسلوك الإنسان وتفكيره وشعوره وهدفها الأساسي هو تلبية حاجيات المجتمع، كما يمكن اعتبارها فنونا تراثية ترتبط ارتباطا وثيقا بالتّراث الحضاريّ والتقاليد والعادات والقيم الاجتماعيّة للمجتمع.

والحرفي: هو عامل يدويّ مكوّن عن طريق ممارسة مباشرة وهو مستقل يعمل لحسابه الخاص، ويعمل بمفرده أو بمساعدة أفراد عائلته أو بعض الرّفقاء.[4]

أما الأستاذ التّهامي علي: فعرّفه على أنه الإنسان الذي يمارس عمل يدويّ، ويستعمل فيه كل قدراته الإبداعيّة، كما يجب عليه أن يكون متمتع بالتأهيل الحرفيّ، ويمكنه كذلك

---

[1] إدارة الموقع "**طبقة التجار والحرفين من خلال المأثورات الشعبية**"،(الوسيط على الخط)، يوم 2008/10/23..www.hamahir.alwehda.gov.sv

[2] شوقي ضيف، "**المعجم الوسيط**"، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004،ص 167.

[3] نوال بن صديق، "**التكوين في الصناعات والحرف التقليدية بين المحافظة على التراث ومطلب التجديد**"، رسالة ماجستير في التاريخ (غير منشورة)، إشراف، بوحسون العربي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013/2012، ص2.

[4] علي شبيطة، "**الصناعات التقليدية الفنية في الجزائر، دراسة سوسيو ثقافية للمنتوج الحرفي التقليدي جميلة -نموذجا-**"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الإجتماع (غير منشورة)، إشراف، أنيسة براهيم الرحماني، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الدكتور أبو القاسم سعد الله، الجزائر2، بوزريعة، 2014-2015، ص10.

استعمال بعض الأدوات الميكانيكيّة سواءً كانت ملكا له أو لغيره، كما يمكنه العمل في منزله أو مصنعه أو معمل مجهّز، فالمعنى الحقيقيّ لكلمة حرفة هو كل عمل سامي حقّق لفائدة المجتمع بواسطة رجل تكوّن في مدرسة الحياة والجهد والعمل.[1]

وفي التاريخ كانت النظرة للحرفيّ والصناعات التقليديّة منحطّة وفيها تجلت صور العبودية وارتبطت بها، والبدو كانوا ينظرون للحرفيّ نظرة احتقار وازدراء ونفور فكان صاحب الجاه منهم لا يحضر لوليمة دعاه إليها حرفيّ كون العمل اليدويّ من اختصاص العبيد والخدم والأعاجم والمستضعفين من الناس.[2]

وقد عرّف ابن خلدون الصّناعة: هي ملكة في أمر عمليّ فكريّ ويكونه عمليّا، هو جسمانيّ محسوس والأحوال الجسمانيّة المحسوسة فتنقلها بالمباشرة أوعبء لها وأكمل لأن المباشرة في الأحوال الجسمانيّة المحسوسة أتمّ فائدة. والملكة صنعة راسخة تحصل على استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته.[3]

وقد بيّنت الدّراسات على أنه لا يوجد تعريف عالمي قبل صدور الأمر 96-01 المؤرخ في 1996/01/10م. المحدّد للقواعد التي تحكم الصناعة التقليدية والحرف والنصوص التطبيقيّة لها. لم يكن هناك تعريف واضح وصريح لهذا القطاع من النشاط وبصدوره نصّت المادة 05 من هذا الأمر على أن: "الصّناعة التقليديّة والحرف هي كل نشاط إنتاج أو إبداع أو تحويل أو ترميم فني أو صيانة أو تصليح أو أداء خدمة يطغى عليها العمل اليدويّ وتمارس

[1] علي شبيطة، "المرجع السابق، ص10.

[2] نوال بن صديق، المرجع السابق، ص2.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون، "**المقدمة**"، مر: سهيل زكار، (د ط)، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001م، ص501.

بصفة رئيسيّة ودائمة وفي شكل مستقرّ أو متنقّل أو معرضيّ، وبكيفية فرديّة أوضمن تعاونيّة للصّناعة التقليديّة والحرف أو مقاولة للصّناعة التقليديّة والحرف.[1]

2. المصطلحات المشابهة للحرفة.

ونأتي هنا لنتعرف على أكثر المصطلحات تداخلا مع الحرفة، حيث يتشابه النّشاط الحرفيّ كثيرا مع الصّناعة أو الصّناعة التقليديّة، فقد ميّز بعضهم بين الصّناعة والحرفة حيث جعل مفهوم الصّناعة أضيق وحصره فيما هو مكتسب بالممارسة والتمرّن، ومن ثمّ فالحرفة أشمل، والصّناعة عند هؤلاء هي كل عمل يقتضي استعمال الأيدي (الأعمال اليدويّة).[2]

وعرّف صاحب قانون الصّناعات الدمشقيّة الصّناعة كما يلي: "وأمّا الصّنائع فهي ثانيتها متأخرة عنها أي الفلاحة لأنها مركّبة وعلميّة تصرف فيها الأفكار والأنظار. وهي لا توجد غالبا إلا في أهل الحضر، ومن هذا المعنى نسبت إلى نبيّ الله إدريس الأب الثاني للخليفة فإنه مستنبطها لمن بعده من البشر بالوحي من الله تعالى.[3]

وعرّف الجرجاني الصّناعة على أنها ملكة نفسانيّة، يصدر عنها الأفعال الإختياريّة من غير روية، وقيل العمل المتعلّق بكيفيّة العمل.[4]

---

[1] الأمانة العامة للحكومة، الأمر رقم01-96، المؤرخ في 10جانفي1996، الجريدة الرسمية، رقم3، الجزائر، الصادرة في1996/01/14، ص4.

[2] القاسمي محمد سعيد، "**قاموس الصناعات الشامية**"، تح وتق: ظافر القاسمي، جزءان، باريس، 1960، ص ص12- 13.

[3] عائشة غطاس، "**الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر1700-1830، مقارنة إجتماعية إقتصادية**"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، (غير منشورة)،إشراف، مولاي بالحميسي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2000-2001م، ج1، ص146.

[4] علي الجرجاني، "**معجم التعريفات**"، تح: محمد صديق المنشاوي، (د ط)، دار الفضيلة، القاهرة،(د س)، ص115.

وبخصوص الفرق بين الصّناعة والحرفة بَيّن القاسمي أنه لا يوجد فرق بين الصّناعة والحرفة فكلاهما شيء واحد حيث قال: " الصّناعة هي العمل المتعلّق بكيفيّة العمل والملكة هي الكيفيّة الرّاسخة في الذهن، ومن أسمائها الحرفة أي أنّ الإنسان ينحرف إليها أي يميل".[1]

3. الحرفة في الجزائر قبيل مجيء العثمانيين.

كان النشاط الحرفيّ في الجزائر في حكم المملكة الزيّانيّة يتنوّع بتنوّع البيئة والمواد الأوليّة، والعادات والتقاليد، وكان السكان يمارسون الحرف التي توارثوها وتعلّموها عن طريق آبائهم وأجدادهم وكانت لهم مصدرا لكسب قوتهم وعيشهم، الأمر الذي أدى بهم إلى رقي الحياة الإقتصاديّة.

فالحياة الإقتصاديّة عمها الرخاء في معظم فترات الدولة الزيّانيّة، فلقد إعتنى ملوكها بالصناعات المختلفة من نسيج، وورق، ومعادن، ونحاس، والأعمال الحرفية؛ مثل: الفخار ونحت الرخام، ونقش الخشب، والمجوهرات، كما إهتموا بالفلاحة، وتربية المواشي، وأدى هذا العمل إلى إزدهار الحياة التجارية في مملكتهم، فكانوا يتاجرون عن طريق البر والبحر مع دول أفريقية السوداء مثل السودان والأندلس وأوربا والمشرق العربي، يصدرون ويستوردون، وكانت البضاعة تدخل إلى تلمسان بحرا عن طريق ميناء هنين الموجود بالقرب من بني صاف.[2]

وقد دخل ليون الأفريقي تلمسان أواخر القرن التاسع فوصف تجارها وأرباب الحرف بالنشاط والعفة، ورغد العيش، وفضل لباسهم على لباس الفاسيين ولباعة الأقمشة ذراع سلطاني يوجد اليوم بدار الآثار منقوشا على رخامه.

[1] القاسمي محمد سعيد، المرجع السابق، ص113.

[2] عمار عمورة، "**موجز في تاريخ الجزائر**"، ط1، دار الريحانة، القبة، الجزائر، 2002، ص85.

ورّقي الفلاحة والتجارة يستدعي رقي الحرف والصّناعات وتعدّد أنواعها واختصت كل حرفة بسوقها واشتهرت تلمسان بالمنسوجات، فعرف القماش بالتلمساني وهو صوف خالص أو حرير خالص مختم أو غير مختم. وكان كساء الصوف أو البرنوس من ثمان أواق لرقته.

وذكر يحي بن خلدون من أنواع الملبوسات الثوب المزعر والقهزي والحرير والملف والذّرايع والعمائم والأحاريم.[1]

4. الأوضاع السياسية التي عاشتها الجزائر عقب التواجد العثماني.

عقب تزعزع كيان الدولة الزيّانيّة، واضمحلالها ألمّ بها الضعف، والوهن، والإضطراب، بسبب ما كان بينها من التّخاذل والشقاق فتّن داخلية فظيعة، وتدّاحر وتناحر بل إنتّحار، وتبعثر الدول إلى طويفات وسليطنات، أشبه ماكانت بعصابات، لا تكاد تحصى كل عشيرة تقريبا نصبت من نفسها دويلة، همها التّطاحن مع جارتها، الّتي لا تقلّ عنها إنحلالا وتحللا، وتفرّق وتمزّق، وتشتّت وتفتّت وأنتشّار وإندّثار، طوال قرن كامل من نهاية القرن 15م إلى بداية القرن 16م، وكان الغزو الإسباني والبرتغالي.[2]

وجاء تدخل الدّولة العثمانية نتيجة لإشتّداد الصّراع بين الإسلام والمسيحية في الحوض الغربي للبحر المتوسط في أوائل القرن 16م.[3]

فمع بداية العهد العثماني منذ أوائل القرن 10هـ/ 16م، حيث كان مسلّمو الجزائر قبل دخول العثمانيّين منقسمين إلى شيع وأحزاب، بسبب الاضمحلال، والضعف، الذي عرفته دول

---

[1] مبارك بن محمد الميلي، "**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**"، تق وتص: محمد الميلي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د س)، ص484.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم، "**شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830**"، ج1، ط2، دار الأمة ، الجزائر ، 2007، ص61.

[3] صلاح العقاد، "**المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، تونس، المغرب الأقصى**"، ط 6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993، ص18.

المغرب الثلاث (بنو مرين في المغرب الأقصى، وبنو حفص في المغرب الأدّنى، وبنو عبد الواد الزيّانيّون في المغرب الأوسّط) إثر النّوائب والاضطرابات، التي ألمّت بها والحروب الدّاخلية التي طحنتها، وتنافس الحكّام على الزّعامة ممّا أتاح الفرّصة أمام إسبانيا المسيحيّة والبرتغال وجمهوريتي البنّدقية وجنّوة الإيطاليتّين للتدخل وتحقيق مكاسب سياسية بعيدة المدى.[1]

فقد دخل أمراؤها في صراع على العرش ولم تعد تملك هذه الدّولة النّفوذ إلّا تلمسان وبعض أجزاء المناطق الغربية، فعجزت عن مقاومة الغزاة وأجبرت على عقد الصّلح مع الإسبان سنة 1512م، اعترفت فيه باستيلاء الإسّبان على عدّة موانئ في غرب الجزائر، واستقلت كل مقاطعة من تراب المغرب الأوّسط بالسّلطة، فبلاد القّبائل الكبرى كانت تحت حكم زاوية بلقاضي، ومدينة الجزائر تحت سلطة الثّعالبية والقّبائل الصغرى تحت نفوذ بني عباس وبجاية تابعة للحاكم الحفصّي، أما الصّحراء ومناطق الأوّراس فكانت تُكوّن جمهوريات مستقلة ونفس الحال ينطبق على مناطق تنس[2] والشلف ومليانة وغيرها من المدن الجزائرية.[3]

كما أنتهز "دون فرناندو Don Fernando"، ملك إسبانيا الفرصّة في طرد المسلمين سنة 1492م[4]، إذ أصدّر قانونا يمنّع فيه الدّيانة الإسّلامية وإرغام معتنقيها على الدّخول في المسيحيّة، الأمر الذي أدّى إلى هذه الهجرة التي اتجه فيها المسلمون الأنّدلسيون إلى بلدان المغرب الإسّلامي بصفة مكثّفة، وكان لشدّة مضايقة الأندلسيّين في شمال أفريقيا والتّخطيط

---

[1] عبد القادر الجيلاني،عبد الرحمان الجيلاني، "**تاريخ الجزائر العام**"، ج3، ط6، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1402هـ/1983م، ص13.

[2] **تنس:** هي مدينة ساحلية تقع غرب مدينة شرشال، تبعد عنها حوالي 130 كلم، وتبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 210 كلم، بنيت من طرف جماعة أندلسية سنة 875م، تعرضت إلى الغزو الإسباني سنة 1505م، وتمكن العثمانيون من فتحها سنة 1517م، لتصبح تابعة لدار السلطان. ينظر : شريفة طيان، "**الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني**" (دراسة أثرية فنية)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، (غير منشورة)، إشراف، صالح بن قربة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008/2007، ص21.

[3] عمار عمورة، المرجع السابق، ص88.

[4] علي عبد القادر حليمي، "**مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م**"، ط1، المطبعة العربية، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص162.

لاحتلال مدّن المغرب الأوّسط السّاحلية فيه شرعوا بمدن قريبة من السّاحل الإسباني فاستوّلوا على مدينة وهران عام 1509م، وأستوّلى القائد بيدرو نافارو Pedro Navaro، على مدينة بجاية عام 1510م، ثم سقطت كل من دلسّ[1] وشرشال ومستغانم[2] في أيدي الإسبان عام 1511م، وتعرضت مدينة الجزائر إلى خطر السّقوط الوشيك، ولذلك اضطرّ حاكم الجزائر آنذاك وهو "سالم التّومي" إلى عقد اتفاق مع الإسّبان منحهم فيه بامتياز ببناء حصن الصّخرة "المعروف بحصن البونيّون Pegnon" على إحدى جزر المدينة التي تبعد نحو 300م، عن باب البحر وهو الحصن الذي ظل الإسّبان يهددون منه أهل المدينة.[3]

إذن عرف التّنظيم السّياسي للجزائر خلال العهدّ العثماني تطورات يمكن تمييزها خلال مراحل الّتي مرّ بها الحكم العثماني في الجزائر حيث أنها كل مرحلة تمثل نظاما سياسيا معينا، وقد تمّ تقسيم الوجود العثماني في الجزائر إلى أربعة مراحل:

عهدّ البايّلر بايات (1518م-1588م): يعدّ العهدّ الأوّل من أزهى عهود الحكم العثماني في الجزائر، إذ تميّز بكثرة الأعمال العمرانيّة والإدارة السّليمة وتنظيم البحريّة أيام حكم السّلاطين العثمانيّين الأقوياء، وكانت السّلطة في البلاد بيّد ريّاس البحر وفئة اليولّداش، ومن أبرز آثاره توحيد الجزائر سياسيا.[4]

---

[1] **دلس:** مدينة ساحلية تقع على بعد 100كلم شرق مدينة الجزائر، شهدت المدينة تمركز الأندلسيين بها، عرفت إنتعاشا إقتصاديا في القرن13م، أنشأ العثمانيون بها حامية لهم وكانت من المدن المتوسطة الأهمية إقتصاديا. ينظر: شريفة طيان، المرجع السابق، ص21.

[2] **مستغانم:** تقع على الساحل المتوسطي في الغرب الجزائري، تبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 320 كلم، كانت المدينة تحت حكم البايلك الغربي في حالة بين السلم و الحرب ولم تعرف الإستقرارإلا بعد طرد الإسبان النهائي من وهران 1792م. ينظر: شريفة طيان، المرجع السابق، ص19.

[3] علي عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص163.

[4] محمود مؤيد وحمدان المشهداني، ورشيد رمضان سلوان، "**أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني1518،1830م**"، في مجلة الدراسات التاريخية والحضارية(مجلة علمية محكمة)، العدد16، المجلد5، جامعة تركت، أفريل2013، ص418.

عهدّ الباشّاوات (1587م–1659م)[1]: شهدّت هذه الفترة من تاريخ الجزائر ثورات متعدّدة من القبائل حيث كان للزعماء المحليين سلطة ونفوذ بالإضافة إلى سلطة طوائف الجنّد والبحريّة وغيرهم.

وقد زاد الأمر سوءا ضعف الدّولة العثمانية، ممّا أثّر على ممثليها في الجزائر، خاصة أنّ الدّولة جرّت على التّغيير المستمر للباشوات، وإنهمك هؤلاء في جمع أكبر قدر من المال في فترات حكمهم القصيرة، فأضّعف ذلك من مراكزهم وجعلهم موضع السخط والنقمة.[2]

تميز هذا العهدّ بكثرة الفوضى والإضطرابات وبروز قوة ريّاس البحر ممّا مثل قوة للجزائر وإزدياد حدّة الصّراع بين فرقتّي الريّاس والإنكشاريّة.[3]

مرحلة الآغوات (1654م–1671م): في هذه المرحلة ثار قادة الجيش البّري على الباشّا وعوضوه من تلقاء أنفسهم بحاكم من فئتهم سموه الآغا[4]، وتقرر أن يكون الحكم تشاوريا ولمدّة سنتين أصبح الحاكم ينتخب من بين أغوات الجيش، وهكذا بدا أن الجزائر أصبحت متمردة ومستقلة عن الدّولة العثمانيّة، وقد تصاعدت في هذه الفترة النّزاعات والفوضى.[5]

---

[1] **الباشا:** لقب من أعلى ألقاب التشريف في الدولة العثمانية، مأخوذ من الكلمة الفارسية (باد شاه) بمعنى الملك، أو من كلمة باش بمعنى الرئيس، وجمع باشا: باشاوات.محمد أحمد دهمان،"**معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**"، ط1، دار الفكر المعاصر، لبنان،1990، ص30.

[2] شوقي عطاالله الجمل، " **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب)**"، ط1، مكتبة الإنجلو المصرية،القاهرة، 1977، ص102.

[3] عمار بن خروف، "**العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 16م**"، دار الأولى للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص25.

[4] **آغا:** مصطلح من أصل فارسي، ويعني السيد، وقد إستعمله الأتراك لدلالات كثيرة، منها أنها كانت تطلق على الضباط الأميين مثل الإنكشارية الذين لا يحتاج عملهم إلى معرف القراءة والكتابة، ومنها أيضا صاحب المنصب الكبير، وكان هذا اللقب مهما للغاية في عهود القوة والنفوذ. للمزيد ينظر:سهيل صابان، " **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**"، مر، عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص ص 15–16.

[5] مقلاتي عبد الله،" **المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر،(الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا)**"، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 2014، ص28.

وقد كانت فترة حكم الأغوات قصيرة ومليئة بالفتن والمؤامرات ضدّ حكام الأغاوات بسبب إنعدام قدرتهم على ضبط شؤون البلاد وعدم توفر الأمن الدّاخلي بها وذلك بعد إغتيال لآخر آغا سنة 1671م، حيث ألغي نظام حكم الآغاوات بمقتضى فرمان الدّيوان وجاء بعده نظام جديد عرف بنظام الدّايات.[1]

مرحلة الدّايات (1671م-1830م): وتمثل عهدّ الدّايات بعودة ريّاس البحر الّذين تغلبوا على اليولّداش وأقاموا حكما جديدا وهو نظام الدّايات، وذلك بإنتخاب داي للحكم ويحكم البلاد من قبل المجلس على أنّ يستمر بالعمل مدى الحياة لحين سقوط الجزائر بيّد فرنسا 1830.[2]

لقد تطور النّظام السّياسي للدّولة الجزائرية في العهدّ العثماني ووصل قمة تطوره في القرن الثّامن عشر أي في عهدّ الدّايات حيث عرف النّظام السّياسي إستقرارا من ناحية المؤسّسات السّياسيّة والموظفين وحتى في الجانب الإقتصاديّ والإجتماعيّ.

5. الوضع الاقتصاديّ والاجتماعيّ.

إن الجانب الإقتصاديّ من تاريخ الجزائر في الفترة العثمانيّة كانت له آثار حاسمة وإنعكاسات مباشرة على الأحداث السّياسيّة والنظم الإدارية والحالة الاجتماعيّة، بحيث لا يمكن التعرض لهذه الجوانب كلها إلا بعد التّعرف على الأوضاع الإقتصّاديّة.[3]

أما الوضع الاقتصاديّ والاجتماعيّ، الّذي عاشته الجزائر قبل دخول الدّولة العثمانيّة، فقد عرفت البلاد أثناء القرنيين 8 و9 هـ/ 14 و15م، تقهقرا اقتصاديا، واضمحلالا اجتماعيا، صاحبه سوء الأحوال الصّحية، والمعيشية، وزادت من وطأته، هجمات الإسبان على السّواحل،

[1] يحي بوعزيز، "**الموجز في تاريخ الجزائر**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص290.

[2] محمود مؤيد وحمدان المشهداني، ورشيد رمضان سلوان، المرجع السابق، ص419.

[3] ناصر الدين سعيدوني، "**ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**"، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص387.

وشيوع الفوضى، وإنعدام الأمن فتخربت المدن، وأفقر الرّيف من سكانه، ثم ما لبثت أوضاع البلاد الجزائريّة، أن تحسنت أثناء القرن السّادس عشر، والنّصف الأوّل من القرن السّابع عشر، وذلك بسبب قدوم مهاجري الأنّدلس، واستقرارهم بالجهات السّاحلية، فبدأت الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة بالتّحسن شيئا فشيئا. وازّدهرت الحياة الاجتماعيّة لدى السّكان، وظهرت بوادر التّحسن في النّشاطات التي كانوا يمارسونها مثل: الصّناعات التّقليديّة والحرف، فهذه الأخيرة، كان لها من الأثر البالغ والكبير في إنعاش الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة.

وقد عرفت البلاد الجزائريّة في العهدّ العثماني، نشاطا شمل أغلب المهن التّقليديّة والحرف اليدويّة التي كانت معروفة في الأقطار الإسّلامية، والبلاد الأوروبية، وهذا ما يناقض الكتابات الفرنسيّة القائلة بأن الصّناعة في الجزائر أثناء العهدّ العثماني كانت تقتصر على بعض الصّناعات، الّتي وصفت بأنها بدائية في طريقة صنعها، بسيطة في نوعيتها، تقليديّة في أساسها.[1]

[1] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، " **الجزائر في التاريخ**"، الجانب الإقتصادي والإجتماعي من تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني،(ج4)،(د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984،ص61.

الخلاصة

لقد كان جلّ السّكان في الجزائر يمارسون النّشاطات الحرفيّة، فلا يخّلو بيت أو جهة إلاّ وتجد من يمارس نوعا من النّشاط الحرفيّ، سواء كانت حرف في الزراعة أو الصّناعة أو التّجارة، ومع إلتحاق الجزائر للدّولة العثمانيّة وتأثيرها المباشر الإيجابي، في ذلك الوقت زاد ثراء الحرفة وتنوّعها حتى غدّت أصلا يعتمد عليها ويعوّل عليها في تحسين الوضع الاقتصّادي والاجتماعي، بل وأصبحت وسيلة في التّحكم السيّاسي كفرض الضرائب على الحرفيين وغيرها. إضافة إلى دخول مهاجري الأندلس وإحتّكاكهم بالمجتمع الذي زاد من تنوع الحرفة وتطورها حتى أضحى النّشاط الأساسّي لدى الكثير من السّكان وتوارثتها الأسّر والأجيّال بعضها عن بعض، ليتّبين أهمّية النّشاط الحرفيّ في الجزائر.

الفصل الأوّل:

مدخل إلى الصّناعة الحرفيّة في الجزائر

المبحث الأوّل: البنية الإجتماعيّة بالمدن والأرّياف

المبحث الثّاني: نوعية النشاط الإقتصادي بالمدن والأرّياف

المبحث الثّالث: الحرفة كنشاط أساسي لدى سكّان المدن والأرّياف

المبحث الأوّل: البنية الاجتماعيّة بالمدن والأرّياف.

إنّ البنيّة الاجتماعيّة لدى سكّان المدن والأرّياف، تكّمن في أيّن يرتّكّز السّكان، وكيّف يتوزّعون وينّقسمون، والعوامل المتحكّمة في ذلك، فكل هذا من الأسّباب الّتي يمكن أنّ نعرفها من خلال مزاولّتهم للنّشاط الحرفيّ وأهمّ النّشاطات الحرفيّة، الّتي يمّارسها أهل المدن عن أهل الأرّياف وأهل الأرّياف عن أهل المدن، وما يمكّن أنّ يحيط به الإنّسان من عوامل منّاخيّة وبيئيّة يؤّثر فيه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة والنّشاط الّذي يزّاوله، كما قد يفرض عليه المجتمع أو الواقع المحيط به نشاطا معينا.

لكل مجتمع خصّائص ومميزات وعرّقيات تمثله، وأهمّ المجموعات السّكانية والعرّقية الّتي تمثل الإيّالة الجزائريّة تمثلت في سّكان المدن وسّكان الأرّياف.

المطلب الأوّل: سكان المدن.

إنّ التركيب الإجتماعيّ للجزائر قدّ يعكس التّنوع العرقيّ من حيث أصول المجتمع الجزائري وبوجد الأتّراك الّذين زادو في الإمّتزاج الإجتماعيّ وقد كانت هناك عدّة فئات إجتماعية.[1]

وتتطلب دراسة أوضاع المجتمع والتعرف على أحوال السكان تناول الأقليّات والطوائف الّتي يتكون منها سكان المدن كل على حِدّى لتميّيز كل جماعة على أخرى في وضعيتها الاجتماعيّة ونشاطها الاقتصّاديّ وعلاقتها بالدّولة وأهمّ المجموعات السّكانية أو الأقليّات العرقيّة. هي الأقلية التركية، وجماعة الكرّاغلة، وطبقة الحضّر، وجماعة البرانيّة والدخلاء.[2]

[1] محمود مؤيد وحمدان المشهداني، ورشيد رمضان سلوان، المرجع السابق، ص425.

[2] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدلي بوعبدلي، المرجع السابق، ص92.

1) الأقلية التركية:

كان الأتّراك يشكّلون طائفة مغلقة منعزلة عنّ المجتمع الجزائريّ، متمسكة بلغتها التّركيّة وبمذهبها الحنفيّ، تخضع لنّظام قضائيّ خاص، ولها إمتيازات خاصة.[1]

وتتشكل في أغلبها من الجنود الأتّراك (الإنّكشارية)[2]، الّذين كانوا يستّقرون في حصون وثكنّات مدينة الجزائر مثل: حصّن القصبة، وثّكنة الخراطّين واللمباجية، أو يتوزعون على حاميات المدن والسّفارات الموجودة في كل من قسنطينة وهران، وعنابة.

وهذا وقد ظلت الأقّلية التركية ضئيلة العدد، لم يتجاوز عدد أفرادها أواخر القرن 16م آلاف نسمة، ولم يزّد في الرّبع الأوّل من القرن 17م، عندما كثر سكان المدن عن 12 ألفا، وظلّ هذا العدد ثابتا تقريبا حتى أوائل القرن 19م، الّذي ذكّرت المصادر أنّ عددهم كان يقارب 10 آلاف نسمة، وترجع قلة العنصّر التركي إلى حالة العزوبة الّتي كان يعيشها أغلب أفراد الجيش، فضلا عن تعرض الكثير منهم إلى الأمراض والأوبئة، ونظرا لقلة عدد الطائفة إلا أنها لم تخل من التركيب الآفنوغرافي وأنّ تأثيرهم لم يتعد الأنظمة الإدارية، ولم يتجاوز الرتّب العسكرية. [3]

وكما يفسر أيضا بظرفية تاريخية تحكمت فيها جملة من العوامل أهمها: عاملان اثنان: يكّمن العامل الأوّل: في تناقص عدد المجندين في الجيش بوجه عام، فهي المرحلة الّتي واجهت الجزائر صعوبة كبيرة في عملية التّجنيد.

أمَّا العامل الثّاني: فيتمثل في المحاولة الجريئة الّتي اقدّم عليها الدّاي علي خوجة، من أجل اصطلاح الجيش الانّكشاري بل وإحلال محله جيشا محليا.[4]

---

[1] صالح عباد،"**الجزائر خلال الحكم التركي(1514-1830م)**"، ط1، دار الألمعية، الجزائر، 2013، ص547.

[2] **الإنكشارية:** وهي فيالق عسكرية تكونت من أبناء رعايا الدولة الذين تم جمعهم مابين السادسة والخامسة عشرة من عمرهم من مختلف الولايات العثمانية في أوربا، في وقت معين من السنة، وهناك رأي مخالف وهو أن أفراد الإنكشارية كانوا من أولاد المسلمين. للمزيد ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص41.

[3] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص ص92-94.

[4] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص ص9-10.

2) جماعة الكراغلة:

تعدّ من أهمّ الفئّات الاجتماعيّة في بعض المدن الجزائريّة، بعد فئة الأتّراك العثمانيّين والأعلاج، نظرا لما كانت تتمتع به من امتيازات مادية، مثل تعيين أفرادها في مناصب الدولة. والتمتع ببعضّ التّسهيلات، وإعفائهم من بعض الضّرائب، أما عن عدد أفراد هذه الفئة، فإنه كان في تزايد مستمر، فكان يحدده مدى ارتباط الأتّراك العثمانيّين بالأهالي ومصّاهرتهم لهم، وقد ظهر الكراغلة في بداية الأمر في مدينة الجزائر، وأصبحوا في أواخر القرن 10هـ/16م، يشكّلون قوة مميزة، تنافس الأتّراك العثمانيّين في الامتيازات.[1]

تكّونت هذّه الجماعة (الكراغلة)، نتيجة تزاوج أفراد الجيش التّركي الانكشارية بنساء البلاد، وظهرت أوّل مرة بالمدن، الّتي تقيم بها الحاميّات التّركية وهي: الجزائر وتلمسان ومعسكر[2] وقلعة بني راشد[3] ومستغانم ومازونة[4] وملیانة والمدية[5] والبليدة[6] والقليعة[7]، بسكرة وقسنطينة وعنابة.[8]

---

[1] أرزقي شويتام، "**المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني**"، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص89.

[2] **معسكر:** تقع في شمال غرب الجزائر على بعد 360 كلم من العاصمة، ويعود أصلها لملوك بني زيان الذين إتخذوها لإقامة عسكرهم في تخوم بلادهم (تلمسان) لحمايتها، ومدينة معسكر الحالية حديثة نسبيا، إزدهرت في عهد العثمانيين وأصبحت عاصمة بايلك الغرب بعد مدينة مازونة، وإتخذها الأمير عبد القادر عاصمة له إبتداءا 1832م، لمدة سنتين. ينظر: شريفة طيان، المرجع السابق، ص18.

[3] **قلعة بني راشد:** تقع بالقرب من مدينة معسكر، أخذت إسمها من قبيلة بني راشد التي تنسب إلى قبيلة زناته، إشتهرت القلعة في القرن16م، وفيها قتل إسحاق أخ عروج سنة1517م. ينظر: شريفة طيان، نفسه، ص20.

[4] **مازونة:** مدينة بالغرب الجزائري، تقع شمال شرق مدينة غليزان التي تبعد عنها بحوالي75كلم، كانت عاصمة بايلك الغرب سنة 1565م، وإنتقلت العاصمة فيما بعد إلى مدينة معسكر. نفسه، ص18.

[5] **المدية:** تعرف في الفترة الرومانية تحت إسم لامبيديا، وهي عاصمة إقليم التيطري خلال العهد العثماني، تبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 80 كلم. ينظر: نفسه، ص 18.

[6] **البليدة:** تسمية مصغرة للبلد، تقع على بعد 45 كلم جنوب غرب مدينة الجزائر في سهل متيجة ، وبالقرب من وادي سيدي الكبير ينسب تأسيسها إلى سيدي أحمد الكبير المرابطي في القرن 16م، أخذت أهميتها في نهاية القرن 17م، خاصة عند دخول الأندلسيين، كانت تمون مدينة الجزائر بالمداخيل الزراعية. المرجع نفسه، ص20.

[7] **القليعة** : هي تصغير للقلعة لموقعها المنيع، تقع غرب مدينة الجزائر على بعد 40 كلم، تأسست سنة 1550م، من طرف حسن باشا إبن خير الدين في فترة حكمه الأول(1544/1551م). المرجع نفسه، ص 20.

[8] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص94.

وبلغ عددهم في نهاية القرن 18م، بمدينة الجزائر حوالي6.000 نسمة، كما تزايد عددهم بشكل ملحوظ في مدينة تلمسان، و بالرغم من إنتمائهم آباء من أصل تركي، فإن الكراغلة لم يحصلوا على إمتيازات أو يشاركوا في الحكّم. ولم يكنّ لهم حق في الإنّتساب إلى الجيش أو الحصّول على منّاصب إدارية بحكم أنهم قد يتحالفون مع أبناء الجزائر الأصّليين، وكان الكّراغلة يملكون ثروات ويستّثمرونها في المزّارع ويترفّعون عن خدمة الأرض أو القيّام بأعمال يدويّة.[1]

3) طبقة الحضّر:

تتشكّل طبقة الحضّر "البلديّة" من المجموعات السّكانية القاطنة بالمدّن وتعود في أصولها إلى الفترّة الإسّلاميّة، وما انضم إليها من أندلسيّين وأشراف، وقد تميّز الحضّر بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة، وبوضعهم الاجتماعيّ المميّز، مما جعلهم يؤلفون طبقة اجتماعية ميسورة ويشتغل أفرادها في المهنّ الصّناعيّة "الأعمال التّجاريّة" ويتولون وظائف السّلك القضّائيّ والتّعليميّ، وقدّ ظهر في هذه الطبقة الصّناع المهّرة والتّجار النشيطون والبّحارة المغامرّين، والفقّهاء والعلّماء الأفاضّل.[2]

وكانّت هذّه الفئة تتكوّن أساسا من العرب والأمازيغ، وقد تزايد عددهم بمن إنضم إليهم من الوافدين ولاسيما من الأنّدلسيين، الّذين إستمروا في التّوافد على المدن الجزائريّة، وخاصة على مدينة الجزائر وما جاورها، طوال القرن10هـ/16م، والعقّدين الأوّلين من القرن الّذي يلّيه، نتيجة الإضطهاد والنّفي الّذي تعرضوا له، وإلى جانب هذّه الفئّة هناك عناصر أخرى من السودانيّين الّذين إلتّحقوا بالمدن.[3]

---

[1] عمار بوحوش، "**التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**"، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ص74.

[2] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص ص97.

[3] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص77.

هذا وقدّ اهتمّ أفراد هذّه الطبقة بتنمية ثرواتهم واستّغلال أملاكهم واستثمار مزارعهم الوّاقعة بالقّرب من المدن، وهذا ما جعلهم يؤلفون برجوازية المدن الصغيرة الّتي عرفت بخضوعها للبّايلك وقلة اهتمامها بأمور السّياسة وشؤون الحكمّ، فرّغم سيطرتهم على الحياة الاقتصاديّة في أغلب طيلة القرن 16م، و17م، إلّا أنّهم لم يؤثروا في نظام الحكّم ولم يعدّلوا أسلوب الحكّام في معالجة الأمور الاقتصاديّة والمسّائل السّياسية وحتّى العائلات الحضريّة، الّتي عرفت كيف تتعامل مع بعض الحكّام وأقتصر نشاطها على المحافظة على امتيازاتها فقط[1].

وقد ساعد هذا التّنوع بين سكان المدن الجزائريّة على أن تعرف إنتعاشا وإزدهارا شمل الجوانب الإقتصاديّة، والإجتماعيّة، والعمرانيّة، والّثقافيّة، وأصبحت مركز إستقطاب السكّان[2].

4) مجموعات البرّانيّة:

عرفت مدينة الجزائر، ظاهرة وفود سكّان المناطق الدّاخلية إليها من الجبال والأرّياف على غرار المدن العربيّة الاخرى كبغداد وتونس وصفاقس وغيرها.[3]

وتتألف مجموعات البرّانيّة من المجموعات السكّانية، الّتي هاجرت الى المدن الكبرى كالجزائر وقسنطينة وتلمسان[4] وغيرها للإقامة والعمل، وقد فرض عليها الوضّع الاجتماعي ونوعيّة النّشاط الاقتصادي في المدن أن تنتظّم حسب أصولها الجهويّة ومواطنها الأوّلى، فهناك البساكّرة، والجيجليون، والأغواطيون، والميزابيون والقبائل العبيد وغيرهم.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص98.

[2] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص77.

[3] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص19.

[4] **تلمسان:** هي مدينة قديمة تقع في الغرب الجزائري، كانت عاصمة للدولة الزيانية، تعرضت لتدخل المرينين الذين بنوا فيها حصونا وقلاعا أشهرها مدينة المنصورة، قصد المدينة مئات الآلاف من المهاجرين الأندلسيين الذين قدموا خاصة من قرطبة وغرناطة، فتحها العثمانيون سنة 1553م.

وقد احتضت كل مجموعة بمهام وأعمال تقوم بها تحت إشراف أمين منها يختاره البايلك، ويوكّل له حقّ مراقبة جماعته وتولّي شؤونها فيما يتعلق بأمور الشرّطة والقضايا العدّلية، ويساعده في ذلك أعوان وشوّاش وكُتّابْ.[1]

5). الدخلاء:

كانت تعيش في الجزائر جاليات من اليهود والمسيحيّين الأحرار والأسّرى.[2]

أ- اليهود:

بالرّغم من وجود عدّة فئات أجنبيّة مسيحيّة فإن الجماعة النّشيطة الّتي إرتفع شأنها في الجزائر هي اليهود لأنّ اليهود كانوا يتعاملون مع الدّاي وقادة الجيش(الريّاس)، ويقومون بشراء وبيع البضائع أو الغنائم الّتي يحصل عليها رجال الجيش، كما إشتهر اليهود بعمليات السّمسرة والقيام بدور الوساطة في كل العمليات التّجاريّة إلى دّرجة أنه أصبح من الصّعب على أي عربيّ أنّ يبيّع دجاجتين بدون واسطة مأجورة من أحد اليهود.[3]

وقد قسّمت الدّراسات التّاريخيّة الجاليّة اليهوديّة في الجزائر، بحسب أقدميتها فهناك مجموعتين كانت الاوّلى يمثلها اليهود الّذين التحقوا بإفريقيّة بعد أنّ تّشتت صفوفهم في المشرق، في حدود القرن الثّامن قبل الميلاد، وتمكن أحفادهم من المحافظة على دينهم.

أمّا المجموعة الثّانية: فكانت تتألف من اليهود، من جزر البليار، وإيطاليا، وأوروبا الشّمالية، وفرنسا، وإنجلترا إبتداءً من القرن 7ه/13م، ثم من أحفادهم، وقد عرف عدد أفراد هذه المجموعة ارتفاعا ملحوظا بعد أنّ التحق بها يهود إسبانيا بعد سقوط غرناطة عام 1492م.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص99.

[2] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص90.

[3] عمار بوحوش، المرجع السابق، ص75.

ومهما تعدّدت الأماكن الّتي قدم منها اليهود، فإنّ الرّوايات الّتي نتجت عن كيفية إنتقالهم إلى الجزائر، والاستقرار بها، كانت هي الأخرى متنوّعة، إلاّ أنّ معظمها يكاد يكون متشابها ويغلب عليها الطّابع الأسطوري.[1]

ب- الأوروبّيون:

كان يعيش في مدينة الجزائر وكذلك في بعض المناطق السّاحلية، عدد من الأوروبّيين الّذين كانوا ينقسمون إلى فئتين فئة الأحرار أو الطّلقاء الّتي تتكون من القناصل وموظفي القنصليات والإرساليات ووكلاء المؤسسات التّجاريّة والتّجار وفئة الاسّرى المسيحيين.[2]

المطلب الثّاني: سكّان الأرّياف.

أجمعت المصادر على أن سكان الأرّياف خلال العهدّ العثماني، كانوا يمثّلون الأغلبية السّاحقة بنسبة 90% يسكنون الأرّياف، وهم كلهم جزائريون منهم الأجّواد، والمرابطون، وقبائل المخزن والرّعية.[3]

وكان سكّان الأرّياف ينقسمون إلى عنصرين أساسيين هما العرب والأمازيغ، الذين كانوا يعيشون وفقا لتنظيماتهم الموروثة، والتي طبعت بطابع الإسّلام، ممّا كان يوحد بينهما من النّاحية الدّينيّة، وكانت كل مجموعة قائمة على أساس قبلي أو لغوي، خاضعة لزعاماتها الرّوحية (المرابطين) أو الدّنيوية (الأجّواد).[4]

[1] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص104.

[2] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص93.

[3] عمار عمورة، المرجع السابق، ص253.

[4] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص98-99.

1) قبائل المخزن:

يمكن تعريف قبائل المخزن بأنّها مجموعات سكّانية لها صبغة فلاحيّة وعسكريّة وإداريّة.[1] لما تقوم به من أعمال وتؤدّيه من أدوار وهي لا تعود في أصولها إلى نسب واحد أو أصل مشترك بل هي في واقع الأمر تجمّعات سكّانية تعميريّة ذات تكوين اصطناعي فمنهم العبيد والكراغلة وعرب الصّحراء وسكّان الهضاب والجبال، هذا وتشكّل قبائل المخزن نظرا لارتباط مصالحها بالبايلك حلقة وصل بين الأهالي في الأرّياف والحكّام في المدن بل أنّها أصبحت في أواخر العهدّ العثماني تؤلف رابطة متينة تشدّ المحكوم على الحاكم وتبقى على تماسك الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة في الريف.[2]

2) قبائل الرّعية:

هي القبائل الّتي لم تحظ بأيّ إمتياز من السّلطة التّركية، وهي الّتي كانت تدفع الضّريبة والّرسوم المختلفة، كما كانت تفرض عليها أعمال السخرة. وكانت وضعيتها أسوء من وضعية تلك القبائل الّتي لم تخضع للسّلطة المركزيّة لأنّها تقطن مناطق وعرة تصعب على القوات التّركية أنّ تتواجد فيها بصفة دائمة.[3]

تتألف قبائل الرّعية من المجموعات السكّانية الخاضعة مباشرة للبايلك والمقيمة بالدّواوير والدّشر والقرى المنتشرة في الجهات الّتي تراقبها قبائل المخزن، وتعبرها فرق الحاميات التّركية المتوجّهة لجمع الضّرائب أو الملتحقة بمراكز الحاميات.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، "**دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)**"،(د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص97.

[2] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص ص105-106.

[3] ناصر الدين سعيدوني، "**دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**"، المرجع السابق، ص98.

وقد تعرضت قبائل الرّعية للاضطهاد والإكراه والاستغلال المستّمر من طرف رجال البايلك وفرسان المخزن، فاستخلصت منها الضرائب الثقيلة وأرغمت على بيع محاصيلها الزّراعية بأسعار زهيدة، ومنع عنها الاتّصال بالقبائل المعادية للبايلك أو الممتنعة عن نفوذه.[1]

3) المجموعات السكّانية المتحالفة (الأحلاف):

تتعامل مع البايلك عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين الّذين أصبحوا بحكّم العادة والعرف يتوارثون حكمها، معتمدين في ذلك على نفوذهم الدّيني أو كفاءتهم الحربية أو أصالة نسبهم، وقد غلب على هذه العائلات الّتي تولت حكم المجموعات القبلية المتحالفة، الطّابع الروحي في غرب البلاد (عائلات المرابطين)، والطّابع الحرّبي في شرق البلاد وجنوب التيطري (الأجناد)، بينما العائلات الّتي تولت زعامة هذه المجموعات القبلية الحليفة بمناطق جرجرة والبابور والصّومام اعتمدت في فرض زعامتها على أصولها العريقة (الأشراف)، أو امتثالها لرأي الجماعة (الخرّوبة).

وممّا يلاحظ أنّ البايلك حاول ربط هذه المشيخات القويّة بالسّلطة واخضاعها لتصرف الحكّام، وذلك بالإلتجاء إلى عدّة وسائل منها:

أ- التّقرب إلى شيوخها ومرابطيها وذوي الرأي منها بإسقاط المطالب المخزنية وتقديم الهدايا وإصدار فرمانات التّولية، مقابل خدمات محددة مثل: تأمين الطّرق وجمع الضّرائب من الدّواوير والدّشر التّابعة لهم، وبهذا أصبح هؤلاء الشيوخ والزّعماء المحلّيين واسطة بين الأهالي البعيدين عن سلطة البايلك وبين رجال البايلك، وأداة طيعة يستخدمها الحكّام في بسط نفوذهم غير المباشر على المجموعات القبلية الّتي يصعب إخضاعها.

ب- خلق تنافس وتناحر بين الأحلاف القبلية الكبرى، وذلك بتشجيع الصّراع العشائري المعتمد على مبدأ الصف ونزعة التّعصب القبليّة.[2]

[1] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص ص107-108.

[2] نفسه، ص ص108-109.

4) المجموعات السكّانية الممتنعة عن سلطة البايلك:

تتعامل مع البايلك عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين الّذين أصبحوا بحكم العادة والعرف يتوارثون حكمها، معتمدين في ذلك على نفوذهم الدّيني أو كفائتهم الحربية أو أصالة نسبهم، وقد غلب على هذه العائلات الّتي تولت حكم المجموعات القبيلة المتحالفة وكانت تسمى هذه العائلات بالمرابطين.[1] والمرابط تعني الإلتزام والتّعهد، أي أن المرابطة يعاهد الله على ألّا ينصرف إلّا لما فيه خيرا للإنسانيّة، وذلك حتّى بعد موتهم.[2] وقد كانت قوة هؤلاء ورجال الطرق تكمن في إستعمالهم الدّين، وكان الجميع يخشاهم من الأفراد العاديين إلى رجال السّلطة من الأتّراك بحيث أنّ السّلطة التّركية كانت تستعين بهذه المجموعات في نقل الأموال برّا عبر الطّرقات غير الآمنة نظرا لقوتهم.[3]

تتألف في أغلبها من القبائل الّتي كانت تعيش في المناطق الجبلية الحصينة كالبابور، وجرجرة والونشريس وطراودة وشمال قسنطينة والأوراس، أو الّتي كانت تجوب جهات الهضاب الوهرانية ومناطق الأطلس الصّحراوي (أولاد نائل والعمور والقصور) وتخوم الصّحراء، وقد قدّر الفرنسيون عددها عام 1830، بـ 320.000 نسمة من مجموع السكّان الإجمالي البالغ حسب هذا الإحصاء 780.000نسمة.[4]

المطلب الثّالث: مميزات الوضع الإجتماعي في المدن والأرّياف:

أهمّ الخصائص العامّة الّتي كان يتميز بها الوضع الإجتماعي في الأرّياف والمدن، والّتي نستعرضها في النّقاط التّالية:

1- يتميز الوضع الاجتماعي بالجزائر في العهدّ العثماني بقلّة السكّان الحواضر بالنّسبة لسكّان الأرّياف، بحيث أنّ سكّان المدن لم يكن يتجاوز إستنادا إلى أغلب الرّوايات 5% من

[1] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 109.

[2] حمدان بن عثمان خوجة، "**المرآة**"، تح، محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص19.

[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص363.

[4] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص ص109 -110.

مجموع السكّان، بينما الغالبيّة السّاحقة وهي 95%من السكّان، كانت تعيش في البوادي والأرّياف، وحتّى هذه النّسبة الضّئيلة من سكّان المدن لم تكن موزّعة توزيعا عادلا بين مختلف أنحاء البلاد، إذ كانت الجهات الغربيّة تحظى بنسبة مرتفعة مابين7%و8%والجهات الوسطى6% بينما الجهات الشرقية لم تكن نسبة سكّان المدن بها تتجاوز نسبة3%من مجموع سكّان البلاد.[1]

2- أنّ أهالي مدينة الجزائر في العهدّ العثماني من ناحية تنظيمهم الإجتماعي يكونون هرما كاملا من الفئات الاجتماعيّة، كانت الطّائفة التّركية تمثل واحدة من الطّوائف الهامة الّتي تحتل القمة وكان تعدادها لا يتجاوز عشرون ألف نسمة في جميع أنحاء القطر الجزائري، وهناك من يرى أنّ الطّائفة كانت منعزلة أحيانا عن الأهالي الجزائريين من أجل الحفاظ على سطوتهم السّياسية أو صيانة تقاليدهم المميزة في العيش.[2]

أمَّا البناء الإجتماعي بالأرّياف فهو لايختلف كثيرا عن أوضاع المدن وإنّ كانت تتحكم فيها نوعية العلاقة مع الحاكم، إذ تحتل الصّدارة في مجتمع الأرّياف قبائل المخزن، بينما قبائل الرّعيّة ظلّت في آخر السّلم الإجتماعي رغم الخدمات الّتي تقدمها والأعمال الّتي تكلف بها، أما وسط السّلم الإجتماعي فتحتله القبائل الحليفة أو المستقلة وهي بحكم علاقتها مع الحاكم وطبيعة إقتصادها تعيش على هامش النّشاط الإقتصادي والعلاقات الإجتماعية ممّا ترك آثرا سلبيا على جهاز الدّولة الإداري ونظامها السّياسي.[3]

3- يتحكم الوضع الإجتماعي للجزائر عاملان رئيسيان هما: القوة العسكريّة والقدرة الماليّة، فالقوة الحربيّة كانت أقصر الطرق إلى أعلى المراتب أما الإمكانيات المالية فكانت هي الوسيلة الفعّالة لنيّل أهمّ الإمتيازات، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة العنصر التّركي الّذي يميل إلى الحياة العسكريّة ويفضل الحصول على مايحتاجه من أموال من غير محاولة إستثمارها أوتنميتها.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص111.

[2] أحمد السليماني، "**تاريخ مدينة الجزائر**"، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص ص 30-31.

[3] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص112.

وهكذا أصبحت القوة العسكريّة والإمكانيات الماليّة هي الّتي تحدّد أي طائفة من الطّوائف المدن أو أيّة مجموعة من سكان الأرّياف، فهي المقياس الحقيقي لمنح الإمتيازات وفرض المطالب المخزنيّة ومن خلال ذلك أصبح الحكّام ينظرون إلى مجموع السكّان لا على كونهم رعايا خاضعين فقط، وإنما بإعتبارهم أصنافا ومجموعات بشريّة متفاوتة من حيث الأهمّية والحقوق والواجبات.[1]

4- بلغ عدد السكّان مدينة الجزائر قبيل القرن 17م، 100.000 شخص ، كما وجد فيها 300 عائلة للإنكشاريين و600عائلة تركية و1000 عائلة أندلسية مهجرة، و10 جوامع، ومعبدان لليهود، وكنيستان للكاثوليك.[2]

المبحث الثّاني: نوعية النّشاط الإقتصادي بالمدن والأرّياف.

تعتبر الزّراعة كمؤمّن غذائي أساسي لدى سكّان المدن والأرّياف في الفترة العثمانية وكنشاط إقتصادي في توفير وتشغيل اليدّ العاملة فقد كان جل سكّان يعتمدون عليه وبما أنّ تلك الفترة الّتي كانوا يعيشونها لم تكن الوسائل الزّراعية الّتي كانوا يعتمدون عليها جدّ متطورة بل كانوا يعتمدون على مايمكن أنّ يصنعونه من أيديهم من خلال نشاطاتهم الحرفية الّتي تساعدهم في ذلك الوقت على تحسين الوضع الزّراعي وزيادة المنتوج والرقي بالزّراعة، وتحسين المستوى المعيشي.

وفي هذا المطلب سنحاول التعرف على الأراضي الزّراعية وملكيتها وأهمّ المنتوجات الزّراعية الّتي كانوا ينتجونها. لنتبيّن الجانب الحرفي في الزّراعة وأنّه يوجد هناك نشاطات حرفيّة صناعيّة تتعلق بالزّراعة.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص ص112-113.

[2] عزيز سامح التر، "**الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**"، تر، محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص145.

المطلب الأوّل: الزّراعة.

كانت الجزائر في العهدّ العثماني بلدا زراعيا بالدّرجة الأوّلى: مناخها جميل وأرضها طيّبة توجد بها مراع شاسعة، وسهول فسيحة تكثر فيها منتوجات أمريكا والهند، بالإضافة إلى ماينبت في أراضي أوروبا كما أنّها تنتج كميات هائلة من القمح والشعير والصوف والجلود والشّموع، أما مراعيها فتزخر بأنواع الحيوانات المختلفة مثل الأبّقار والأغّنام والماعز والبغال، والحميّر الممتازة، وتذكر المصادر أنّ سهول متّيجة تعتبر من أجمل الأراضي وأوسعها في العالم وذلك نظرا لمناخها وخصبتها وموقعها.[1]

كان الإقتصاد الجزائري يعتمد أساسا على الزّراعة ، لهذا فإنّ معظم السكّان كانوا يقطنون في الأرّياف، وكانت معيشتهم تعتمد على الزّراعة وتربية الحيوانات، وقد ساعدهم على ذلك إتساع رقعة الأراضي الزّراعية، وخصوبة التّربة، وإعتدال المناخ كما أنّ تنوّع التّضاريس قد أدى إلى تنوّع الغطاء النّباتي، والمحاصيل الزّراعية، وكان نشاط المجتمع الجزائري تحدّده طبيعة تضاريس البلاد، الّتي يمكن تقسيمها من الشّمال إلى الجنوب إلى ثلاث مناطق متباينة.[2]

أ- المنطقة الشّمالية: تنتشر فيها السّهول الشّاسعة نسبيا، والضّيقة المنّحصرة بيّن الجبال والبحر والأحواض، مثل حوضي سباو والصّومام في منطقة القبائل. وتتميز هذه المنطقة بوفرة المياه، إذ تتلقى كمية معتبرة من الأمطار، وتجري بها الأنهار والأودية والينابيع ممّا جعل تربتها خصبة. وهي في بعض الجهات سوداء، وفي جهات أخرى حمراء، ولكنها في جميع الحالات خصبة، حيث أنّها مشربة بالنترات.[3] ويمكن حرث فدان واحد في اليوم بواسطة فردين.

---

[1] محمد العربي الزبيري،"**التجارة الخارجية للشرق الجزائري**"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص57.

[2] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص305.

[3] وليام شالر، "**قنصل أمريكا في الجزائر(1816_1824)**"، تق، إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص29.

ب- منطقة الهضاب العليا أو الوسطى: تتميز أراضيها بالإرتفاع النسبي، وتقع بين سلسلتين جبليتين، الأطلس التّلي والأطلس الصّحراوي. تغطيها أعشاب قصيرة، وتتلقى كمية متوسطة من الأمطار، فهي تعدّ منطقة رعوية بالدّرجة الأولى، إلّا أنّها تساهم بقسط وافر في إنتاج الحبوب.[1]

كما نجد قسما هاما من أراضي الجزائر الشّمالية كان في الفترة التّركية مغطى بالغابات، وقد أزيلّ قسم كبير من هذه الغابات في أوائل القرن التّاسع عشر نتيجة إنتشار الحياة الرّعوية والإستغلال المفرط، فمنطقة الهضاب العليا الشّرقية أصبحت جرداء لاتدل على غاباتها المنقرضة سوى بعض المظاهر الجغرافية، وحتّى منطقة السّاحل المجاورة لمدينة الجزائر قطعت أشجارها سنة 1789م، بأمر من الدّاي لبناء خمسين سفينة، وتعرضت لإجتياح قطعان البدو، فلم تعد سوى منطقة أعشاب طفيلية وأشجار غير مثمرة لاسيما بعد التّدمير الّذي أحدثه الجيش الفرنسي عند إستيلائه عليها.[2]

تحكمت فيها طبيعة الملكية وكيفية إستعمال الأرض، وأثرت فيها ظروف وعوامل مختلفة.[3]

ج. المنطقة الجنوبية أو الصّحراوية: وهي أكبر المناطق مساحة، أراضيها قاحلة تغطيها الكثبان الرّملية. إلّا أنّها تنتشر بها واحات خضراء مغروسة بالنّخيل. ويعتمد سكّانها الّذين يعتبرون حلقة وصل بين المنطقة التّلية وإفريقيّة جنوب الصّحراء على التّجارة.

وقبل أنّ نتحدث عن النّشاط الفلاحي للمجتمع الجزائري وأنواع المحاصيل الزّراعية، الّتي كان ينتجها، لابد أنّ نحدّد أولا طبيعة ملكية الأراضي الزّراعية وأنواعها، وطرق إستغلالها بإعتبارها العامل الأساسي في العملية الإنتاجية، وفي تحديد العلاقات العامة السّائدة بين الإدارة والمجتمع من جهة، وبين أفراد المجتمع في مابينهم من جهة أخرى.

---

[1] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص306.

[2] ناصر الدين سعيدوني، "**النظام المالي للجزائر**"، ص31.

[3] إسماعيلي زوليخة المولودة علوش، المرجع السابق، ص287.

أ. ملكية الأراضي: كانت ملكية الأراضي الزّراعية في الجزائر خلال العهدّ العثماني، تنقسم إلى عدّة أنواع منها:

1.ملكية البايلك: كانت معظم الأراضي الخصبة الواقعة في ضواحي المدن، والسّهول التّلية، حيث إنتشار التّجمعات السّكانية والأبراج العسكريّة، تابعة للبايلك، الّذي كان يستغلها بنفسه، أو بمساعدة القبائل المخزنية، أو ما يعرف بنظام الخماسة والتويزة.

وكان البايلك في هذا النوع من الإستغلال، يوفّر وسائل الإنتاج، المتمثلة في المحراث، والحيوانات، والبذور. وبعد خصمه لخمس الإنتاج، حقّ المزارعين، تجمع الغلّة في مطامير البايلك.

أمَّا النّوع الثّاني من الأراضي فهو المعروف بالعزلية، الّتي حصل عليها البايلك بالمصادرة، فكان يؤجرها للخواص، أو يقتطعها لبعض الموظفين الإداريين والمرابطين، مقابل الخدمات الّتي قدموها للسّلطة.[1]

وكان البايلك يفرض على هذا النّوع من الأراضي، رسوم الحكّر الّذي قدّر في بايلك قسنطينة في أخر العهدّ العثماني بخمسة وثلاثين فرنكا للمحراث الواحد، بالنّسبة للخواص. أما أعوان الإدارة، فكانوا يدفعون نصف المبلغ. في حين تمّ تحديد ضريبة العشور العينيّة بصاع واحد من القمح، وآخر من الشّعير، وشبكة من التّبن. وهي مفروضة على الجميع دون تمييز.[2]

أراضي الوقف: وهي تابعة للمؤسّسات الدّينية، المساجد والزّوايا، والحرمين الشريفين، مكة والمدينة، كان يتولى أمرها الوكيل، تحت إشراف النّاظر.

2.الملكية الخاصة: كان هذا النّوع من الملكية منتشرا في المناطق الجبلية مثل منطقة القبائل والأوراس، كما أنّ هنالك بعض الحضر، الّذين يملكون بعض الأجنّة والأحواش بضواحي

[1] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص 306-307.

[2] محمد فركوس، "**الحاج أحمد باي قسنطينة (1826-1850)**"، (د ط)، الجزائر 1993، ص37.

المدن، الّذين كانوا يستغلونها بواسطة الخماسين، الّذين قال في شأنهم حمدان بن عثمان خوجة: " إنّ المالكين أو أصحاب المزارع يستخدمون العمّال والرّعاة، وليس لهؤلاء أرض، ولا أموال، ولا مواشي، وإنّما تعطى لهم التّسبيقات حسب حاجاتهم وقبل تسليم الخمس لهؤلاء العمّال، وذلك عادة أثناء جمع المحاصيل، فإنّ قائد الدّوار يخصم ما عليهم من ديون وتسبيقات، ولا يعطي لهم إلّا ماتبقى. وعلى إثر التّقسيم يذهب العامل إلى السّوق لبيع محصولاته وبما أنّ الغلل تجمع في نفس الوقت تقريبا، فإنّ الحبوب تكون رخيصة في فترة معيّنة من العام، بينما تكون الأسّعار ثابتة عندما يقوم الأغنياء بتمويل الأسّواق.

3.ملكيّة العرش: يشترك فيها كلّ أفراد القبيلة وكانت تستغل جماعيا في الزّراعة والرّعي، وهناك أراضي الشّمال الّتي تخلفها الأّسر بعد إنقراض أفرادها، أو الّتي كان يتصدق بها أهل البر. وكانت تمنح للفقراء والمعوزّين أو لإمام المسجد للإنتفاع بغلتها، أو تحول لمقبرة جماعية لأهل القبيلة.[1]

ب. المحاصيل الزّراعية: لقد ساعد تنوّع التّضاريس والمناخ وخصوبة التّربة، على وفرة كلّ أنواع المحاصيل الزّراعية. فكانت كلّ منطقة مختصة في إنتاج أنواع معيّنة من المحاصيل الزّراعية. فكانت كمية كبيرة من القمح تنتجها سهول قسنطينة، ومتّيجة وعنابة، ومعسكر والتّيطري، إلّا أنّ أجوده كان ينتج في منطقة تلمسان. وقد ذكرت المصادر أنّ القمح الجزائري كان ممتازا، ينافس محاصيل الدّول الأجنبية في الأسّواق العالميّة، ويؤكّد القنصل الأمريكي في االجزائر السّيد شالر، ذلك بقوله: " وهذا القمح مشهور في الأسّواق الإيطالية، ويفضله التّجار على جميع أنواع القمح الأخرى، بسبب جودته تصنع منها الماكرونة وغيرها من العجائن.[2]

وقد إعتنى المجتمع الجزائري عامة بزراعة الحبوب، لكونها أساس معيشته. فلا نجد منطقة في السهول والجبال، تخلو من زراعة الحبوب. فكانت كل السهول ممتدّة من تلمسان

[1] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص309.

[2] وليام شالر، **المصدر السابق**، ص30.

غربا إلى عنابة شرقا، مرورا بسهول وهران ومعسكر، والشّلف ومليانة ومتّيجة، وقسنطينة تنتشر فيها زراعة القمح والشّعير.

كما إنتشرت زراعة الأرز في مليانّة وميلة في الغرب الجزائري، وكانت الكمّية الّتي تنتجها البلاد تقدر في أواخر القرن 12هـ/18م، بخمسة أو ستة آلاف قنطار في السّنة. وعلى ما يبدو أنّه كان كافيا لإستهلاك المحلّي. وبالرغم من ذلك فإنّ الدّولة كانت تستورد كمّية منه من مصر، مخصّصة للفئة الحاكمة.[1]

وعلاوة على هذه المحاصيل فإنّ البلاد كانت تنتج الكتّان في البليدة، والتّبغ في ضواحي عنّابة ومدينة الجزائر، الّذي كانت تصدر كمّية منه إلى تونس وطرابلس. وكانت تنتج القطن في ضواحي مدينة الجزائر،[2] الّذي قال في شأنها القنصل الفرنسي في الجزائر، السّيد تانفيل: " مهما كانت المرتفعات الّتي تتخلل أراضي الجزائر، فإنّها منتجة، ومن شأنها أنّ تكون صالحة لزراعة المحاصيل المحلّية والأجنبيّة.[3]

وكانت الأراضي الفلاحيّة المحيطة بمدينة الجزائر واسعة شديدة الخصوبة تمتد عند أسفل أسوار المدينة في الأماكن المعروفة اليوم بشارع ديدوش ونهج محمّد الخامس أو باب الوادي وبئر خادم والحامة وبئر مراد رايس والأبّيار وبوزريعة والحرّاش والعاشور ودالي إبراهيم والسحاولة وبني مسوس والشّراقة وحسين داي والقبة، تدرّ مختلف أنواع الخضر كالبصل والطّماطم والفلفل وغيره، والفّواكه كاللّوز والعنب والتّين والتّوت والرّمان والخوخ واللّيمون والبرتقال والمشمش والتّفاح وحبّ الملوك إضافة إلى التّبغ ومختلف أنواع الزّهور، وقد وصف الأب

[1] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص310.

[2] نفسه، ص ص 310- 311.

[3] Mèmoire sur Alger en 1809. Par D THANINVILLE, Pub.par g. esquer, lib. Champion,paris,1927,p144.

الإسّباني ديغوهايدو سنة 1612م البادية الجزائرية أو الفحص في مؤلفه « طوبوغرافية الجزائر» كالآتي:

« فور ما تخرج إلى البوادي يتبادر إلى أعيننا جمال الكروم العديدة والحدائق الغنّاء الّتي تحيط بالمدينة، ولا ترى في كل الإتّجاهات إلّا أشّجار اللّيمون والبرتقال وأشّجار من كلّ نوع، ثمّ العديد من الأزهار وخاصة الوّرود المزهرة على إمتداد السّنة، وسط نباتات البقول والخضر. بينما كانت سهول متّيجة الواسعة مختصّة في تربية المواشي وزراعة الحبوب والبرتقال والعنب وإنتاج العسل والصّوف والزيّت والجلود تسدّ في غالبيتها حاجات سكّان العاصمة والقليل منها يصدّر إلى الخارج كما كانت في نفس الوقت توفّر الحليب والزبدة إلى العاصمة بفضل العدد الهائل الّذي كانت تمتلكه من أبقار».[1]

وكانت هذه الأراضي الزّراعية بضواحي المدينة عبارة عن حدائق وبساتين كبيرة تتوسّطها منازل ريفية جميلة وتتوفر على موراد مائيّة كبيرة مصدرها وادي الحرّاش ووادي كونيس بهضبة الأبيار ووادي المغاسل بضاحية باب الواد هذا بالإضافة إلى الآبار والعيون والأودية الطبيعيّة الّتي ينبع أغلبها من مرتفعات المدينة (بوزرّيعة) تزود مياهها سكّان المدينة الفلّاحين على السّواء.[2]

وكانت الأراضي الجبيلة تستغل بشكّل مكثّف، نظرا لقلة المساحة الصّالحة للزّراعة وبالرّغم من ذلك فإنّ الفلّاح كان يزرع بعض الحبوب لإستهلاكه الشّخصي مثل الحمصّ والعدس والذّرة والشّعير.[3]

[1] عمار عمورة، "**الجزائر بوابة التاريخ**"، ص ص 236- 237.

[2] نفسه، ص237.

[3] L. Valensi، **"Le Maghreb avant la prise d'ALGER (1790-1830)"** ،Flammarion, Paris, 1969, P42.

وكان سكّان الجبال يستغلون الغابات الممتدّة من منطقة القبائل الغربية إلى غاية القّل، فكانوا يزودون ورشات بناء السّفن بالأخشاب، ويمونون المدن بالفحم. إلّا أنّ إستغلالهم المفرط للغابات أدّى إلى تدهورها في الفترة الأخيرة من العهدّ العثماني.[1]

ج. الثّروة الحيوانيّة: إهتمّ المجتمع الجزائري عامة بتربية الحيوانات. إلّا انّ عددهم كان يختلف من منطقة إلى أخرى فكانت الأغنام والجمال منتشرة بكثرة في الهضاب العليا ومشارف الصّحراء حيث شساعة المراعي. بينما المنطقة التّلية كانت متخصّصة في تربية الأبّقار أمّا الماعز والخيول والبّغال، فإنّنا نكاد نجدها عند كلّ القبائل.إلّا أنّ هناك من أولى إهتماما خاصا بتربية الخيول.[2]

وهذا ما لاحظه حمدان بن عثمان خوجة، الّذي قال عن سكّان السهول، ما يلي: «هؤلاء السكّان يحبّون الخيل حبّا جنونيّا. ولايفكرون إلّا في مضاعفة أعدادها، وهم يفرقون بين أنواعها ويحفظونها بعناية. تستعمل السّلالات الوضعية لّلحصول على البّغال، وهناك سلالات تخصّص للّحرث ولكنّ أحسن الأنواع أي الجياد، فإنّها للسّباق والحرب ولاتباع إلّا نادرا».[3]

والواقع أنّ تربية الحيوانات كانت شائعة في كلّ الأرّياف والمناطق الجبلية إلاّ أنّ عددها كان محدودا. فلا نجد أسرة ريفية لا تملك عددا من الأغنام والأّبقار والماعز والحمير والدّواجن وخلايا النّحل. فإنّ هذه الثّروة رغم قلّتها، فإنّها كانت مكمّلة لإنتاج الزّراعي والحرفي.

وقد سمحت هذه الثّروة الحيوانيّة، لكي تكون الجزائر من الدّول المصدّرة لها، وللصّوف والجلود. علاوة على المواد الزّراعيّة الأخرى كالحبوب والزّيت والشّمع.

---

[1] CH، Ferand،" **L' EXPLOITATION DE LA KARASTA",** IN R,A,N, ALGER ،1868, P378.

[2] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص312.

[3] حمدان خوجة، "**المرآة**"، **المصدر السابق**، ص72.

وإذا أتينا إلى تقيّيم القطاع، فيمكن القول أنّه عرف إنتعاشا ملحوظا، بعد أنّ توافد الأندّلسيون إلى الجزائر، فطوّروا تقنيات الرّي، وأدخلوا محاصيل زراعية جديدة. كما قام بعض الحكّام أمثال الباي محمّد بن عثمان، بتشّجيع زراعة الحبوب في بايلك الغرب، حتّى قيل عنه أنّه كان يزرع لحسابه الخاص.[1]

ومهما كان الجهد الّذي بذله الأّندلسيون وبعض الحكّام، في تطوير القطاع الفلاحي، فإنّه لم يكن يشمل كلّ الجهات من البلاد، إذ كان مقصورا عن المناطق التّلية الّتي إستقروا بها. أما المناطق الدّاخليّة فإن جزءا من أراضيها الخصبة ترك بورا.[2]

المطلب الثّاني: الصّناعة.

يتنوّع النّشاط الحرفي بحسب الجانب والميدان الّذي يمارس ويزاول الحرفي فيه نشاطه، من زراعة أو صناعة أو تجارة، ويعدّ الجانب الصّناعي كأكثر جانب يتنوع فيه النّشاط الحرفي ويكثر فهو يلّم بالعديد من النّشاطات الحرفية من صناعة الحرير والنّسيج والقطن والفّخار وغيرها، فكل هذه الصّناعات يستعملها السكّان بتنويع الأشياء الحرفيّة والّتي يكثر إستعمالها بشكل كبير في الحياة اليوميّة.

وفي هذا المطلب سنرى بعض الصّناعات الّتي مارسها السكّان الجزائر في العهدّ العثماني، والّتي فتحت أبوابا كثيرة على النّشاط الحرفي، كما سنتعرف على كيفية التّحكم في الصّناعة وتوزيع النّشاط الصّناعي بالمدن والأرّياف وما آلت إليه الصّناعة في العهدّ العثماني والأسباب الّتي أدّت إلى ذلك.

فقد عرفت البلاد الجزائريّة في العهدّ العثماني نشاطا صناعيا شمل أغلب المهن التّقليديّة والحرف اليدويّة الّتي كانت معروفة في الأقطار الإسّلامية والبلاد الأوروبيّة وهذا ماياناقض

[1] أرزقي شويتام، "**المجتمع الجزائري وفعالياته**... "، المرجع السابق، ص ص 313-314.

[2] C.A.Julien، **"histoire de l'Algérie colonisation1827- 1871",** P.U. F، PARIS،1964, P7.

الكتابات الفرنسيّة القائلة بأنّ الصّناعة في الجزائر أثناء العهدّ العثماني كانت تقتصر على بعض الصّناعات الّتي وصفت بأنّها بدائية في طريقة صنعها، بسيطة في نوعيتها، تقليديّة في أساسها.[1]

ومن أهمّ الصّناعات أو الحرف الّتي مارسها المجتمع الجزائري على المستويين، المدينة والرّيف، هي الصّناعة النّسيجيّة، والحريريّة والقطنيّة، والجلديّة، والمعدنيّة، والخشبيّة والفخّاريّة.[2]

فالصّناعة المحلّية الّتي إستمدّت تقاليدها من الماضي السّحيق تعتمد في نشاطها على إرضاء متطلبات أسواق المدن والأرّياف من المصنوعات اليدويّة مثل: صناعة الأغطية الصّوفية والأحزمة الحمراء بتلمسان والبرانس، والزّرابي، والحصر للأطلس الصّحراوي والفّخار بندرومة والأحذية والزّرابي بقلعة بني راشد، والأدوات الجلديّة والأقمشة بمازونة، ومهن الحدادة وصنع الأسلحة والفضّة بمناطق جرجرة ومعالجة الأصواف والجلود ووضع السّروج والجواهر بقسنطينة، وصناعة الحليّ والأحذية والشواشي بمدينة الجزائر.[3]

وإذا كان الإنتاج الصّناعي في الأرّياف موجها أساسا لتلبية حاجيات الأسرة في المقام الأوّل فإنّ إنتاج المدن كان مخصّصا لأغراض تجارية بحتة، إلّا أنّ هناك بعض العائلات الحضرية، الّتي كانت تمارس الحرف في منازلها كالخياطة والطّرز والنّسيج.[4]

وبالجملة فإنّ الصّناعة الجزائريّة في الفترّة التّركية بفرعيها التّقليدي أو التّحويلي إمتازت بصفات وخصائص تتلخص في عدّة نقاط:

1- إعتمدت الصّناعة الجزائرية على المواد الأوّليّة المتوفّرة بالبلاد كالأصواف والجلود والأخشاب.

---

[1] إسماعيلي زوليخة المولودة علوش، المرجع السابق، ص293-294.

[2] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص318.

[3] ناصر الدين سعيدوني، "**النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830**"، ص ص34-35.

[4] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص320.

2- إتجهت الصّناعة المحلّية البسيطة في البوادي إلى تلبية الحاجيات الضرورية للعيش، بينما الصّناعة التّقليديّة في المدن حافظت على طابعها الوراثي وإعتمدت في إنتاجها على الأشياء الكمالية والتّرفيهية الّتي تجد رواجا لدى سكّان المدن مثل الحليّ والجواهر والأحزمة والمناديل والعطور[1] والمعادن المختلفة كالنّحاس والفضّة والرّصاص والحديد والرّخام وقد إشتهرت الونشريس بمناجم الرّصاص والفضّة وزكام، وبنو سليمان بجرجرة بمعادن الحديد، كما عرفت مناطق الجنوب بإنتاجها من الفضّة.[2]

3- إتصفت بكونها صناعة كمالية ترفيهية في المدن، تتميّز بدقة في الصّنع ورِقَة الذّوق كالأحزمة والشواشي والحلّي والجواهر والأقمشة الحريرية المطرّزة والمنادل المذهّبة أو المفضّضة.

4- كما إتصفت ببساطتها وخشونة أسلوبها بالنّسبة لصناعة الأرّياف، فهي موجهة لسدّ الحاجات الضّرورية وإرضاء متطلبات العيش كالأدوات الفخارية والخشبية والطينية والأنسجة الصّوفية كالجلّابة والبرنوس والحايك والخيمة والزّرابي والحصر والأحزمة، بالإضافة إلى الحاجات الأخرى كالصّناديق والقباقب والمناجل والأسلحة والألّجمة والقفال والتلاليس والقدور.

5- إستمدت طرق صنعتها ومواصفاتها من تقاليد الماضي البعيد، حتى أصبحت في أغلبها ذات طابع وراثي سواء في المدن أو الأرّياف، ففي المدن أصبحت ترتبط بحياة الأسرة وترابط الطّائفة أو الأقلّية، وفي الأرّياف أصبحت تعكس عادات وتماسك القبيلة، وهذا ما أدّى إلى إختصاص بعض المدن والمناطق والجماعات بمهن معيّنة وحرف مميّزة، مثل مناطق جرجرة ومدن تلمسان والجزائر وقسنطينة، وجماعات الأنّدلس واليهود والحضر داخل هذه المدن.

[1] ناصر الدين سعيدوني، "**النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830**"، المرجع السابق، ص36.

[2] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص70.

6-تسبّبت في إنخفاض مستوى معيشة سكّان الأرّياف في الوقت الّذي إرتفع فيه دخل سكّان المدن، وذلك لغلاء المواد المصنّعة وإنخفاض أسعار المواد الأوّلية الزّراعية الّتي كانت المصدر الرّئيسي للفلّاحين.[1]

المطلب الثّالث: التّجارة.

تعتبر التّجارة كذلك كجانب يرتكز عليها السكّان الجزائر في العهدّ العثماني في ممارسة النّشاط الحرفي وتنويعه، وقد كانت التّجارة آن ذاك تشكّل قوة إقتصادية خاصة من خلال المبادلات الدّاخلية والخارجيّة وتوفير المنتوجات والسّلع والبضائع الّتي يمكن أن تأخذ الجانب الطّلبي الكبير.

وفي هذا المطلب سنتعرف كيف كانت تتمّ عمليات المبادلات التّجارية في العهدّ العثماني بالدّاخل والخارج، وماهي اهمّ الوسائل المستعملة في ذلك وماآلت إليه التّجارة.

إنّ نشاط المجتمع الجزائري في المجال التّجاري هو نشاط مكمل وموازي لنشاطه في المجالين الفلاحي والصّناعي، وإذا كان هذان القطاعان يتميزان بإستقرار الفاعلين فيهما في أماكن محدّدة، فإن المشتغلين في مجال التّجارة يجمعون بين الإستقرار في المدن والقرى والتّنقل بين الأسّواق المحلّية والجهويّة، بل إنّ بعضهم دفعه نشاطه إلى الإنتقال ببضائعه إلى الأسّواق الخارجية في البلدان المجاورة وغير المجاورة في قوافل برّية أو بحريّة.

وتعتبر التّجارة إحدى القنوات الرّئيسية الّتي تنتقل من خلالها الأموال، والمعارف، والتّأثيرات المختلفة بين المجتمعات، كما أنّها تساعد على تطوير المنشآت القاعدية في المدن والأرّياف مثل المحلات والطّرقات، والمواصلات.

[1] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص71.

لقد مارس المجتمع الجزائري في العهدّ العثماني، نشاطا تجاريا واسعا حتى أصبح من الدّعائم الرّئيسية للإقتصاد الجزائري، وقد تجلى ذلك في العددّ الكبير من المحلاّت التّجارية، والأسّواق الّتي كانت منتشرة في المدن والأرّياف، وكانت التّجارة في الجزائر تنقسم إلى نوعين، هما التّجارة الدّاخلية، والتّجارة الخارجية.[1]

ويتوزّع النّشاط التّجاري للجزائر في العهدّ العثماني على المدن الكبيرة والأسّواق الأسبوعية والموسميّة، فمن أهمّ المراكز التّجارية مدن الجزائر وقسنطينة وتلمسان.[2]

أ- التّجارة الدّاخلية: كانت تتمّ داخل المدن او بواسطة الأسّواق الأسبوعيّة والسّنوية في الأرّياف.

وقد عزّز التّبادل التّجاري الدّاخلي عاملان هما:

أولا: تشجيع الحكومة للأسّواق التّجارية سعيا لفرّض نفوذها على سكّان الأرّياف عندما يختلفون إلى هذه الأسّواق.

ثانيا: مرور القوافل عبر الأراضي الجزائرية نحو المشرق العربي أوبلاد السودان.[3]

لقد أدّى تنوّع الإنتاج الزّراعي والحيواني إلى إزدهار النّشاط التّجاري، فأصبحت المدن الجزائرية مراكز تجارية مهمة، يقصدها الأهالي من مختلف الجهات لشراء حاجاتهم الضّرورية وبيع إنتاجهم الزّراعي والصّناعي، وهذا ماخلق نوعا من التّرابط بين المدن والأرّياف.[4]

فكانت مدينة الجزائر مثلا: تأتيها المواد الغذائية وغيرها، من مزارع المناطق المجاورة لها، مثل الفحوص، وسهل متّيجة، وشرشال والبليدة وغيرها، وحتى من المناطق الجبلية والجنوبية.

---

[1] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص 334-335.

[2] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص71.

[3] ناصر الدين سعيدوني، "**النظام المالي للجزائر للفترة العثمانية 1800-1830م**"، المرجع السابق، ص38.

[4] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص335.

وقد عرفت المدن الجزائرية عامة حركة تجارية واسعة، بعد أن إستقر بها العثمانيون والأنّدلسيون إبتداءا من القرن 16م، وإذا رجعنا إلى مصادر ووثائق تلك الثّورة، يمكن أنّ نأخذ فكرة عن عدد المحلّات، والأسّواق المنتشرة في مختلف المدن، فمنها الحوانيت، والمقاهي، والمخازن، والحمّامات، والفنادق أو الخانات وغيرها من الفضاءات والمرافق التّجارية.[1]

ونتج عن هذا التّبادل بين الشّمال والجنوب إزدهار المراكز العمرانية الواقعة بين التّل والصّحراء كبوسعادة والبرواقية وبوغار وبسكرة والأغواط وإزدياد أهمّية أسواق التّبادل الموسمي كسوق اللّوحة قرب تيارت والرّبايع جنوب التّيطري والعثمانية قرب قسنطينة.

ب- التّجارة الخارجية: فإنها كانت تتمّ مع بقية بلدان المغرب العربي والأقطار العثمانية بالمشرق بالإضافة إلى الدّول الأوروبّية الّتي مافتئت أهمّية التّبادل التّجاري تتزايد معها.[2]

وقد كان اليهود خلال عهد الدّايات يستعملون للتّعامل بكثير من الأعمال التّجارية للدّولة وللقيام بالمفاوضات مع التّجار الأوربّيين وهو مايتطلب معرفة باللّغات والمعاملات التّجارية للبحر الأبيض المتوسط الّتي كانت تفوق إمكانية حكام الجزائر.إنّ هذا التّرتيب كان في الأصل وسيلة لمواتاة العمل، وقد قاد في القرن 19م إلى إحتكار تجارة الإيّالة الخارجية من طرف عائلتي بوشناق وبكري الّذي تسبّب في سقوط دولة الجزائر.[3]

[1] أرزقي شويتام،المرجع السابق، ص336.

[2] ناصر الدين سعيدوني، "النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية1800-1830م"، المرجع السابق، ص39.

[3] وليم سبنسر، "**الجزائر في عهد رياس البحر**"، تق، عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص ص100-101.

المبحث الثّالث: الحرفة كنشاط أساسي لدى سكان المدن والأرّياف.

لما كان النّشاط الحرفي في الجزائر يرتكز على عدّة جوانب من الجوانب الزّراعية والصّناعية أو التّجارية، أدّى ذلك إلى تنوّع النّشاط الحرفي بشكلّ كبير وظهور العديد من الصّناعات الحرفيّة المختلفة في تلك القطاعات الحياتيه الّتي لاتعدّ ولاتحصى، فلا تكاد تمرّ في الجزائر على شارع أو سوق أو بيت في العهدّ العثماني إلّا وتجد أنّ هناك من يزاول نوعا من الحرف الّتي يجيدونها.

وفي هذا المطلب سنحصر أنواع النّشاطات الحرفية بحسب كلّ نوع وما يندرج تحت كلّ جانب من الجوانب الثّلاثة الزّراعية والصّناعية والتّجارية، وقد لانذكر جميع أنواع الحرف في كلّ جانب من الجوانب وإنّما نذكر منها فقط ما وجد لدينا من خلال بحثنا كما وقد نركز على نوع من النّشاط الحرفي دون آخر لنبين فقط النّشاط الحرفي في الجزائر في العهدّ العثماني.

المطلب الأوّل: أنواع النّشاطات الحرفية لدى سكّان المدن والأرّياف.

إنّ تنوّع النّشاط الحرفي في العهدّ العثماني يختلف بإختلاف تنوّع المكان والبيئة الّتي يجتمع بها السكّان، وتزداد حاجة هذه النّشاطات الحرفية بإزدياد الطّلب عليها. حيث من الملاحظ على الحرف، أنّ اصحاب الحرفة الوّاحدة يجتمعون مع بعضهم في شارع واحد أو في حيّ واحد ويشرف عليهم مسؤول يسمى الأمين.[1]

وأهمّ هذه الحرف هي:

النّجارون: وهم الّذين يستخدمون الخشب كمادة أوّلية لصناعة الأثاث والأبّواب والنّوافذ وغيرها.

الحوّاكون: وهم الّذين يصنعون الملابس إنطلاقا من حياكة الصّوف والوبر.

[1] صالح عباد، المرجع السابق، ص515.

الفخّارون: وهم المختصّين في صناعة الأدوات الفخّاريّة والّتي تستخدم لإستعمال اليومي أو للزّينة، وغالبا مانجد أصحاب هذه الحرفة ذوقهم رفيع فينعكس ذلك على جمال ودقة الزّخرفة بالأدوات الفخّاريّة.

الصيّاغون: أو صناع المجوهرات وهم من اليهود أو الأنّدلسيون غالبا.

الشقماقجية: وهم الّذين يصنعون الأسلحة ويصلّحونها إذا إنكسرت.

الجلّابون: هم الّذين يرعون المواشي ثم يبيعونها.[1]

البنّاؤون: هم الّذين يقومون بأعمال البناء.

القهواجيّة: هم الّذين يعدّون القهوة ويبيعونها.

الجزّارون: وهم المختصين بذبح الحيوانات وسلخها وبيع اللّحم وهم عادة من بلاد القبائل.

البّرادعية: هم الّذين يصنعون البّرادع.

الصّوابنية: هم الّذين يصنعون الصّابون ويبيعونه.

الكوّاشة أو الخبّازون: هم الّذين يعدون الخبّز ويبيعونه.

الرّكاكون: هم الّذين يخيطون الأحذية إذا تمزقت.

الخيّاطون: هم الّذين يخيطون الملابس.

السّراجون: هم الّذين يصنعون السّروج.

القلالون: الّذين يصنعون القرميد والآجر.

[1] محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص63.

الطّباخون: وهم عادة من بني ميزاب.[1]

كما توجد بمدينة قسنطينة جمعيات مهنية أخرى ومنها جمعيات: البنائّين، و البيّاضين، والزوّاقين، والكوّاشين، والجزارين، والصوابّنية، والدّخاخنية، والقهاوجية، والدّلالين، والكنافين، والحفّافين، والصيّاغين، والغرابيلية، والخيّاطين.[2]

ومن هنا يستلزم الوقوف عند عدد من الحرف الّتي تعكس الطّابع النّشاط الإقتصادي لسكّان مدينة الجزائر في العهدّ العثماني والّتي سنذكر البعض من هاته الحرف:

البابّوجية. البيجاقّجية، البحارين، البرادّعية[3]، البراملية، الشماقّجية، البقّارين، البلاغجية، البنّايين، البيّاضين، التبّانيين، الترايّسين، التماقيين، الجماقجية، الجيواجية، الجلّابين، الجيارين، الحاكّة، الحجّارين، الحدّادين، الحراريين، الحرّازين، الحصّارين، الحلّاطجية، الحفّارين، الحفّافين، الرقايقيين، الزبّالين، الزواقين، الزياتين، الصيّاغين، السرّاجين، السعاجية، السقاجين، السكاكنية، السكاكرية، الحلاقجية، الحلواجية، الحمّارين[4]، الحمّالين، الحمايمة، الحوّاتين، الخبّازين، السمّارين، السمانيين، الستاتجية، الشبّارلية، الشريتّجية، الشمّاعين، الشوايشية، الصبّاغين، الصباولاجية، الصفّارين، الخرّاطين، الخيّاطين، الدبّاغين، الدخاخنية، الدلّالين، الرتايعية، الرصايصة، السقّاطين، الأطبّاء، الطبّاخين، الطرّازين، العسّاسين، العطّارين، الغرايلية، الغمّادين، الفخّارين، الفرّارين.[5]

---

[1] صالح عباد، المرجع السابق، ص ص 516-517.

[2] محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص63.

[3] **البرادعية:** صانعو البردعة التي توضع على ظهر الحمير لحمايتها وحماية السلع التي تنقل فوقها أو لراحة الراكبين الذين ينتقلون بين الأحياء على البغال والحمير وثم الحاجة إلى البرادع بشتى أنواعها. للمزيد ينظر: فاطمة الزهراء قشي، "**قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشرللهجرة(من أواخر القرن 18م/إلى منتصف القرن 19م)**"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ،(غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة تونس الأولى 1998، ص 268.

[4] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص152.

[5] نفسه، ص153.

الفتّارجية، قرارطية، قرطالجية، الفراسدية، القرّانين، بائع الخضر والفواكه، القنداقجية، الفلاكّجية، القراوطية، القزادرية، القزازين، القندقجية، القونداقجية، القهواجية، القوقجية، الكبابّطية، الكفكاجية، الكواشين، اللبّانين، للبلابجية، اللّحامين، المقايسية، المقفولوجية، المكاحلية، المسامعين، النّجارين، النشّارين، الهرمقجية، الوزّاعين.

ومن خلال قائمة الجماعات الحرفية الّتي حصرناها يمكن القول أنّها شملت على أغلب مايحتاجه سكّان مدينة الجزائر من منتوجات وخدمات مختلفة.

ورغم صعوبة التّمييّز بين الجماعات الّتي عنيت بإنتاج والّتي عنيت بالتّسويق لأنّ بعضها قام بالعملين معا؛ ويمكن التّمييّز بين ثلاثة أصناف من الجماعات الحرفية المتخصّصة وذلك من حيث وظيفته:

1-جماعة متخصّصة في الإنتاج.

2- جماعة متخصّصة في الخدمات.

3-جماعة متخصصة في التّسويق.[1]

المطلب الثّاني: أهمّية الحرفة لدى سكّان المدن والأرّياف.

يعتبر النّشاط الحرفي فعّال وحاسم في تحقيق تنمية متجانسة تنبع من كونها تشكلّ نسيجا مكثفا من النّشاطات الّتي تخدم السكّان والإقتصاد في البلاد ولها دور هام أيضا في تحقيق التّوازن بين سكّان المدن والأرّياف.

لذلك نجد أنّ النّشاط الحرفي لدى سكّان المدن والأرّياف في الجزائر في العهدّ العثماني يكتسي دورا هاما ورائدا في التنمية الإقتصادية والإجتماعيّة والثّقافية، ويمثل لهم مكانة هامة نظرا لمساهمته الفعلية في الحياة اليومية والمستقبيلة والتنمية بوجوهها المختلفة.

[1] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص155، ينظر: الملحق رقم 01، ص110.

وتكمن هذه الأهمّية في عدّة جوانب من هذه الجوانب:

1- الأهمّية الثّقافية:

تمثّل الحرف والصّناعات التّقليدية العمل الّذي نشأ مع الإنسان ولا زال يصاحبه إذ تستوحي الحرف إلهامها من التراث، وتمثّل جانبا مهمّا منه، وقيمة كبرى تعكس قدرات الأمم على ممارسة الحضارة بجميع أبعادها المادية والرّوحية، من أجل هذا كانت الدّعوة ملحّة لصيانة التّراث الحرفي وإستخراج ملامح الأصالة وتوسيع توظيفه إقتصاديا وإجتماعيا، وثقافيا.[1]

وكذلك من أجل الحفاظ على الإرتباط الثقافي لشخصية الدّولة داخليا وإقليميا؛ والحفاظ على الإرّث الحضاري المتعدّد والمتنوّع.[2]

2-الأهمّية الاجتماعيّة:

- تعترف الدّول الصّناعية والدّول السّائرة في طريق النّمو، بأهمّية الحرف والصّناعات التّقليدية، وقدرتها الهائلة على توفير فرص العمل، ومساهمتها في عملية توازن التنمية وخفض الهجرة من القرى إلى المدن الكبرى.

وقد إستطاعت الدّول الّتي نظّمت نفسها وتهيأت لمواكبة التحولات الّتي تفرضها المستّجدات الاجتماعية والإقتصادية، أنّ تحافظ على فرص العمل في الحرف.[3]

وتحافظ على الإرتباط الرّوحي بالعمل الحرفي والتمسك به بالممارسة والحفاظ عليه؛ وتفعيل دور الحرفي بإشباع رغباته الاجتماعية والنّفسية بالإنجاز وتحقيق الذّات.[4]

---

[1] بن صديق نوال، المرجع السابق، ص37.

[2] محمود صبح، "**رأس المال العامل وتمويل المشروعات الصغيرة**"، ط2، البيان للطباعة والنشر، القاهرة، 1999، ص196.

[3] بن صديق نوال، المرجع السابق، ص ص 37-38.

[4] محمود صبح، المرجع السابق، ص196.

3- الأهمّية العلمية والإعلامية:

إسغلال البحوث العلمية لإثراء ذاكرة القطاع. تشجيع الإعلاميّين للإهتمام بالصّناعة التّقليدية بإعتبارها عامل ثقافي محرك لديناميكية الإقتصادية.

4- الأهمّية الإقتصادية:

تولّد الحرف والصّناعت التّقليدية قيمة مضافة في الدّخل الوطني، وتوفّر فرص عمل لفئات المجتمع ذكورا وإناثا، وهي بذلك تساهم في تنمية الإقتصاد وتنشيط الحركة الإنتاجية والتّسويقية.[1] وتكوين رأس مال إجتماعي وثقافي وحتى إقتصادي؛ وخلق مناصب الشّغل والقيمة المضافة في تلبية الحاجات لتوفير المنتجات والخدمات المختلفة.[2]

5- الأهمّية السّياحية:

أصبح من المُسلّم به على المستوى العالمي أنّ هناك إرتباطا وثيقا بين قطاع الحرف والصّناعات اليدويّة وقطاع السّياحة، وذلك أنّ الزّائر (السّائح) كيفما كان نوع السّياحة الّتي يمارسها وسواءً كانت إقامته طويلة أو محدودة قلما يغادر المكان الّذي يزوره دون أنّ يحمل معه تذكارا.[3]

[1] بن صديق نوال، المرجع السابق، ص38.

[2] محمود صبح، المرجع السابق، ص196.

[3] بن صديق نوال، المرجع السابق، ص38، ينظر: الملحق رقم 02، ص112.

المطلب الثّالث: التّأثير العثماني على النّشاط الحرفي.

إنّ فئة التّجار والحرفيين كانت تشكل القاعدة الاجتماعية الأكثر اتّساعا في المجتمع وقد كانت هذه الفئة تحت الضّغط الضّريبي وكذا الوّضع السّياسي وتأثيره على النّشاط الحرفي والتّجاري.

وفي هذا المطلب سنحاول توضيح كيف كان التّاثير العثماني على النّشاط الحرفي والحرفيين الجزائريين وسنبين الاثر الّذي تجلّى عن ذلك بسبب هذه السيطرة والاستحواذ، وماآل اليه النّشاط الحرفي بعد ذلك.

ومما يلاحظ أنّ النّشاط الصّناعي بالمدن الجزائرية مالبث أنّ إنحطت نوعيته وتناقصت كميته، وتعرض الصنّاع والحرفيون إلى أزمة كساد مصنوعاتهم وإنخفاض كانت تعيشها الصّناعة الجزائرية أواخر العهدّ العثماني إلى الأسباب التّالية: [1]

1- ثقل الضّرائب وإزدياد الضّرائب المالية: الّتي فرضها الحكّام على أمناء الحرف وألزموا الصّناع بتسديده، فقد كانت نقابة مهنية ملزمة بتزويد الدّولة بمبالغ مالية. تحدّد مسبق بدون إعتبار لنسبة الأرباح ومبلغ الفائدة .

وفي الأسّواق الدّاخلية كانت المصنوعات المحلّية تخضع لرسوم مرتفعة، فعن كل قنطار من الكتّان كان يدفع رسم يقدر بـ25درهما، وعن كل جمل من قافلة تلمسان كان يستخلص دينار ذهبي عند دخوله إلى مدينة الجزائر وقد تبلغ نسبة هذه الرّسوم نسبة 10% من ثمن البضاعة كما هو معمول به في سوق علي خوجة ببلاد القبائل.[2]

[1] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص64.

[2] إسماعيلي زوليخة المولودة علوش، المرجع السابق، ص296.

2- إنخفاض مردود الصّناع والحرفيين: ذلك أنّ البايلك كان يحدّد مسبقا سعر بعض المصنوعات الّتي يطالب الصّانع بتوفيرها ولا يدفع لهم إلّا أجورا زهيدة، إذا ما إستخدمهم في الورشات والمشاغل التّابعة لهم، فهو لايدفع للعاملين في التّرسانة البحرية سوى تسع ريالات في الأسبوع أي مايقدر سنويا ب140،000 قرش إسباني في السّنة، رغم غلاء المعيشة وصعوبة العمل في صناعة السّفن.[1]

وقد كانت الجزائر تشترط إستخراج رخص لتصدير الحبوب والأنعام، كما كانت حقوق تصدير الجلود والشّمع والصّوف تعطى في شكل إمتيازات سنوية لمن يدفع أكثر.[2]

وقد وضعت الحكومة العثمانية حواجز حالت دون تطور التّجارة الخارجية منها:

الإحتكارات من طرف الحكومة حيث لم يكن يسمح ببيع بعض السّلع إلّا للحكومة، ويذكر عن أحد الولّاة أنّه كان يحتكر تجارة الحبوب ويحدّد أسعارها بنفسه، ويضاعف المغارم، ويجبر النّاس على دفعها حيويا حتى يبقى لنفسه السّيطرة على السّوق، ويفرض على الأجانب من التّجار تقديم الهدايا ليحصلوا على رخص التّجارة.[3]

- الرّسوم الجمركية المرتفعة الّتي كانت تفرض على البّضائع.
- بنشاط القرصنة الّذي أرعب الدّول الأجنبية ولم يسمح لها بالتّبادل التّجاري معها.[4]

[1] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص62.

[2] حنيفي هلايلي، "**أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**"، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص159.

[3] عبد الرحمان الجيلاني، المرجع السابق، ج3، ص102.

[4] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص300.

العمل على منافسة المصنوعات الأجنبية: ففي الوقت الذي إضطر فيه الصنّاع الجزائريون إلى رفع أسعار منتوجاتهم لتغطية الإلتزامات الماليّة وتسديد الضّرائب الثّقيلة وإرضاء متطلبات البايلك، كان الحكّام يقبلون على شراء المصنوعات الأوروبّية ويعملون على تشجيع الإستيراد من الخارج، وهذا ماترك أثرا سلبيا على نوعية المصنوعات الجزائرية، وحدّ من إنتشارها.[1]

وكانت نتيجة هذه المنافسة الأجنبية وفتح باب الإستيراد الخارجي والإكثار من الضّرائب وتحكّم النّقابات المهنية في الصنّاع أهمّ العوامل الّتي حالت دون قيام صناعات حقيقية في الجزائر العثمانية حتى في مجال المنسوجات والمواد الغذائية وبناء السّفن رغم توفر المادّة الأوّلية والخبرة الضّرورية لهذه المصنوعات.[2]

– عدم إنتهاج سياسة الحماية الجمركية المعمول بها آنذاك في البلاد الأوروبية كإنجلترا وفرنسا، إذ كان يسمح للبضائع الآتية من الأقطار العثمانية بدفع رسم منخفض لا يزيد عن 4% من سعر البضاعة، وأعطيت لبعض الدّول الأوروبّية إمتيازات مكّنتها من تصدير إنتاجها الصّناعي إلى الجزائر مقابل رسوم جمركية زهيدة.

– جمود النّقابات المهنية: الّذي حال دون تطور المصنوعات من حيث الكمّية أو الكيفية، وذلك بعد أنّ أصبح أمناء المهن أواخر العهدّ العثماني لايهتمون إلّا بإرضاء متطلبات الموظّفين السّامين والتّقرب من شيخ البلد "أمين الأمناء".

الإعتماد على العمّال الأجانب في الصّناعات الأساسية: وبذلك لم يكتسب الجزائريون الخبرة الضّرورية في بعض الصّناعات المهمة كصناعة الأسلحة وبناء السّفن وسكّ النّقود وتذويب المعادن وتشكيل الزّجاج وصناعة الحليّ، فاليهود كانوا يحتكرون صناعة المجوهرات

[1] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 96.

[2] ناصر الدين سعيدوني، "**النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800–1830م**"، المرجع السابق، ص37.

والسّاعات والزّجاج وطلاء المعادن وسكّ العملة، والأسرى المسيحيّون والمتطوّعون الأوروبّيون كانوا يتولون بناء السّفن وسبكّ الذّافع ومعالجة الجير وإقامة المطاحن وتحضير البارود.[1]

إنّ التّنظيمات الحرفية لم تستطع أنّ تبلغ في فعاليتها السّياسية حدّا يمكنها من السّيطرة على السّلطة السّياسية في المدن ففي الواقع أنّهم كانوا يشكلون عنصرا له اهمّية من النّاحية الإقتصادية إلّا أنّهم لم يتمتعوا بنفوذ سياسي مؤثر يتناسب وإتساع الشّعبية الّتي تنتمي إليها تلك التّنظيمات.

وغدت التّنظيمات الحرفية في العهدّ العثماني نقابات تشرف من خلالها الحكومة على الحرفيين إذ أنّ التّنظيم على أساس الحرفة يسهل تجنيد الحرفيين وقت الحرب وجمع الضّرائب منهم وقت السّلم.[2]

[1] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص103.

[2] ثريا فاروقي وآخرون، "**التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للدولة العثمانية**"، تح، خليل إيتا لوجيك ودونا لدكوانرت، تر،قاسم عبده قاسم، م2، ط1، المجلد 2، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007، ص 269.

الخلاصة:

ومن هنا نستخلص أنّه بعدما دخلت الدّولة العثمانية إلى الجزائر وتمكنت من بسط السّيطرة عليها، وإلحاقها رسميا بالدّولة العثمانية، تعاقب على الحكم في البلاد ولّاة معيّنون من إسطنبول، شهد خلالها النّشاط الحرفي في الجزائر عصره الذّهبي، الّذي تميّز بالتّطور والإزدهار، رغم ما أبداه الحكّام العثمانيون من تحكم في هذا النّشاط، وقد إنعكست هذه النّشاطات الحرفية بالإيجاب على سكّان المدن والأرّياف إذ أنّ جلّ السكّان يمارسون نشاطات حرفية مختلفة، فقد أصبح ذو أهمّية بالغة لديهم، فهو يسدّ لهم حاجات كثيرة، وباب لكسب لقمة العيش.

ولأهمّية النّشاط الحرفي في العهدّ العثماني فقد شهد عدّة تنظيمات إتّسمت بالدّقة والتّحكم الجيّد من قبل الحكّام ورؤوس الأمناء لزيادة الإبداع ووفرة الإنتاج لما رأوا فيه من نسبة نجاح وأرباح كثيرة وقد إشتهر في تلك الفترة العثمانية أسر توارثت النّشاط الحرفي أبّا عن جد، وعرفت تنوّعا حرفيا في شتّى المجالات الزّراعية والصّناعية.

الفصل الثّانـي:

النشاط الحرفي في الجزائر في العهد العثمانـي

المبحث الأوّل: نبذة شاملة للنشاط الحرفي في الجزائر في العهد العثماني

المبحث الثّاني: أهمّ النشاطات الحرفية في الجزائر

المبحث الثّالث: واقع الحرفة في الجزائر وما آلّت إليه

المبحث الأوّل: النّشاط الحرفي في الجزائر في العهدّ العثماني.

المطلب الأوّل: مقوّمات النشاط الحرفي.

لقد دفعت حاجة الإنسان للمّعادن الّتي إستّخرجها وإستّغلها في أموره الحياتية من حربيّة وزراعيّة ومنزليّة، وإنصرف للإشتغال بها وتحويلها إلى أشياء نافعة، لذلك ظهرت عملية البحث عنها وظهرت صّناعة الحدادة والصّياغة وأمثالها، فعمدّ إلى تنقيتها من الشوائب العالقة بها وعمل على خلط بعضها ببعض لإيجاد أنواع جديدة منها؛ وأهمّ هذه المعادن:

الحدّيد: عنصر فلّزي يشبه الفضة سريع الصّدأ وقابل للسحب والطرق، وقد وردّ ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[1].

ويضم معدن الحدّيد مجموعة من الأنّواع، فمنها مايتميز بعدم النّقاوة وهو سهل التكّسر، وأنواع أخرى نقية يسهل تشكيلها بالطرق، إستعمل الحدّيد في صنع الحلقات المستّعملة في تعليق الأواني المخّصصة لذلك الغرض.[2]

ويعتّبر الحديد المادة الأكثر شيوعا وإستعمالا مقارنة بالمعادن الأخرى وذلك لصلابته ومقاومته لكل الظروف القاسية، وقد وجد بكميات هائلة في جبال المحصورة بين مدن مليانة والجزائر وبجاية مرورا بجرجرة.[3]

وكانت الموجودات الأسّاسية لمعدّني الحدّيد والرّصاص في بلاد القبائل، كما كانت هناك محتويات لأنابيب القرميد والفلوريد وصخر الملح، وحديد بلاد القبائل كان درجة عالية بصورة

[1] سورة الحديد، الآية 24، ص541.

[2] شريفة طيان، المرجع السابق، ص74.

[3] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص70.

عامة، بالرغمّ من أنّ إستغلاله كان للإستعمال المحلي أكثر منه للتصدير والمصدر المعدّني الّذي كان من إهتمام المطّورين من الخارج هو المرجان.[1]

ويقول حمدان خوجة " وجود المنّاجم في قوله: ويعرف سكّان طريق إستخراج خامات الحدّيد والرصاص وملح البّارود موجودة لديهم بكثرة فهم أناس كثيرو الإشتغال بالصّناعة.[2]

2- النّحاس: الصّفر والقّطر والنّحاس، كلها مرادفات لعنصر فلّزي واحد وهو المعروف بالنّحاس.

والنّحاس بالعربيّة هو الدّخان الذي لالهب فيه وفي التنّزيل قوله تعالى: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ ﴾[3]. كما وَرَد في القران الكريم بلفظة القّطر في قوله تعالى على لسّان ذو القرنين قال: ﴿ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴾[4]. وقيل: انّ الّقطر هو الذّائب من النّحاس، أمَّا الصّفر فهو النّحاس الاصفر ومنه جاءت كلمة الصّفار أي صانع النّحاس، ومكان وجوده تعتمد منطقة شرق الجزائر المعروفة في العصر الإسّلامي في بلاد كتامة من أشهر المناطق في إنتاج معدن النّحاس.

أمّا في العهدّ العثماني فإنّ أهمّ المناجم هي: منجم نحاس أم الطّبول في القريب من القاله، ومنجم جبل الونزة شمال تبسه، ومنجم جبل بوجابور، ومنجم جبل الحصيمات بالجنوب الغربي من تبسه، ومنجم جبل مازوزية شرق مدينة مسكيانة، وجبل سيدي رجين في الشّمال الغربي من عين البيضاء، ومنجم بني تليلين جنوب غرب قسنطينة وفي جنوب مدينة جيجل وقرب تنس، ومنجم تمولقة الّذي يمكن استخراج كميّات كبيرة منه لو أحسن إستغلاله.[5]

---

[1] وليام سبنسر، المرجع السابق، ص141.

[2] حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 29.

[3] سورة الرحمان، الآية 33-34، ص532.

[4] سورة الكهف، الآية 92، ص303.

[5] لخضر درياس، "**المدفعية الجزائرية في العهد العثماني**"، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص81.

3- الرّصاص: معدن ثقيل الوزن سميّ كذلك بتداخل أجزاءه ومن مرادفاته الآنّك والأسرب.

وفي الحديث النبوي الشريف { من إستمع إلى قينة صب الله آنك في أذنيه يوم القيامة}

وقد إشتهرت بلاد الجزائر منذ القدم بإنتاجها لمعدن الرّصاص ومن أهمّ مناجمه في العهدّ العثماني هي: منجم حنقة كاف التّوت قرب بجاية، ومنجم جبل الحلّوف بين بجاية وسوق الإربعاء، ومنجم كاف أم الطّبول في الجنوب الشّرقي من مدينة القالة ومنجم جبل الطّاية في الغرب من مدينة قالمة، ومنجم جبل سكيكدة، ومنجم جبل أذراع الدّباغ جنوب مدينة القل، ومنجم جبل سلولة في الجنوب الغربي من تبسة ومنجم جبل بو جابور ومنجم جبل اليشمول بالأوراس ومنجم بوطالب جنوب سطيف ومنجم جبل ركار الغربي ومنجم جبل الونشريس ومنجم تازوت قرب أرزيو وغيرها.[1]

4- الأخشاب:

تعتبر حاجتنا للأخشاب ضرورية ومنافعنا منها كثيرة فهي إلى جانب إنتفاعنا بثمارها، نتخذ من أخشابها وقودا للنّار كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [2]. وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢﴾[3]. تعتبر الأخشاب مادة أوليّة تدخل في الصّناعة اليدويّة البسيطة وتدرج ضمن المواد المصدّرة كذلك، وقد إمتازت أخشاب مناطق إيدوغ وبني صالح، والقالة وسيبوز، بجودة أنواعها وملائمتها لأعمال البناء وصنع السّفن الشراعيّة، وهذا ماساعد على صنع الزّوارق والسّفن الصّغيرة بميناء عنابة منذ العهدّ الحفصي.[4]

[1] درياس لخضر، المرجع السابق، ص83، ينظر: الملحق رقم 03-04، ص ص113-114.

[2] سورة ياسين، الآية، 79، ص445.

[3] سورة الواقعة، الآية 74- 75، ص536.

[4] ناصر الدين سعيدوني، "**ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**"، المرجع السابق، ص 514.

ولقد تميّزت الصّناعة في الجزائر أثناء العهدّ العثماني أساسا على المواد الأوّلية المتوفّرة في البلاد كالأصّواف والجلود والأخشاب والمعادن المختلفة كالنّحاس والفضّة والرّصاص والحديد والرّخام، واتصفت ببساطتها وخشونة أسلوبها، فهي موجودة لسدّ الحاجات الضّرورية وإرضاء متطلّبات العيش كالأدوات الفخّارية والخشبية.[1]

كما قد وجدت في البلد عدة أنواع من الطّين الّذي يصنع منه الأهالي كميّات من الفخّار البدائيّ، وكذلك توجد معادن الملح الرّفيع بكثرة في بعض الجبال.[2]

في حين أنّه كان هناك عدد من الجمعيّات الحرفيّة الّتي تستعمل أدوات يستورد معظمها من أوربا ومن نفس البلاد أيضا، تجلب بعض المواد المصنوعة كقطع الأسلحة والمسامير وغيرها من الأشياء اللاّزمة للممارسة كثير من الحرف.[3]

المطلب الثّاني: التّنظيمات الحرفيّة في العهد العثماني.

أدى التّأثير العثماني على النّشاط الحرفي إلى خلق العديد من القوانين على أصحاب الحرف لدى سكان المدن والأرّياف، ممّا يبّين أنّ الدّولة العثمانية إستحوذت على جل النّشاطات الحرفّية، حيث قامت بتنظيمات وقوانين لتّسيير النّشاط الحرفي بكل يسر وسهولة، ويضمن جودة عالية من ناحية الإنتاج وزيادة النّشاط الحرفي.

وقد يدخل أصحاب الحرف في غمار العامّة، وهم في مرتبة دنيا من المخطّط الإجتماعي، ويصدق عليهم القول المأثور"الحرفة أمان من الفقر، وأمان من الغنى".[4]

---

[1] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص124.

[2] وليام شالر، المصدر السابق، ص30.

[3] محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص63.

[4] عبد العزيز الدوري،" **مقدمة في التاريخ الإقتصادي العربي**"، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص55.

فقد كان الحرفيون ينتظمون في طوائف حرفيّة تختّص كل طائفة بصنف معين وأدّى تصنيف التّجارة والحرف بالأسواق إلى توليد شعور قوي بالمصلحة المشتركة تسبب في ظهور تكوينات اجتماعية من أصحاب الحرف(نقابات)، يعملون ضمن منظومة متكاملة من القواعد الّتي تقرّرت فيها أدّق التّفاصيل سواء في الجانب الخُلقي أو في الجانب المهني.[1]

ثم إنّ اغلب التّنظيمات الحرفيّة (النّقابات) كان أعضاءها من دين واحد.[2] وكانت هناك تنظيمات تضمّ المسلمين والغير المسلمين.[3]

وفيما يخصّ الصّناعات المحليّة في الجزائر والنّشاطات الحرفيّة حيث عرفت تنظيما دقيقا بحيث كانت كل حرفة تنظم من طرف نقابات مخصّصة للحرفيين، وكل حرفة لها أمين يقوم بحل مشاكلهم ويمثّل جميع شؤون المهنة.[4]

وقد كان لكل حرفة أمينها العام المعيّن من طرف السلطات باتفاق مع كبار ممثّلي الحرفة، وعلى رأس مجموعة الحرف توجد هيئّة لها طابع بلديّة تشرف على الجماعات الحرفيّة، أمَّا أمين الأمناء فهو الّذي يمسك دفاتر ووثائق هذه البلديّة ويقوم بتقديم شكاوى جماعة حرفيّة معيّنة إلى السلطات العليا.[5]

ونأتي هنا لذكر قائمة الجماعات الحرفيّة في مدينة الجزائر في أواخر القرن 17م، والّذي يطلعنا على قائمة الأمناء الّتي اشتملت على 27 أمينا، وهي مرتّبة كالآتي:

---

[1] محمد عبد الستار عثمان، "**المدينة الإسلامية**"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ذي الحجة، 1408هـ/1998م، ص363.

[2] مجموعة مؤلفين، "**الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**"، تق، أكمل الدين إحسان أوغلي، تر، صالح سعداوي، م1، مركز الأبحاث والتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، أريسكا، 1999، ص569.

[3] ثريا فاروقي وآخرون، **المرجع السابق**، ص273.

[4] عمار عمورة،"**الجزائر بوابة التاريخ...**"، المرجع السابق، ص 234.

[5] لمنور مروش، "**دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، العملة الأسعار والمداخيل**"، دار القصبة، الجزائر 2009، ص336.

1.أمين البنّائين.

2.أمين الفرّانيين (أفران الخبز).

3.أمين الخيّاطين.

4.أمين القزّازين.

5.أمين الطرّازين.

6.أمين السّراجين.

7.أمين القندقجيّة.

8.أمين الجقماقجيّة.

9.أمين الصّفارين.

10. أمين الحدّادين.

11. أمين الدبّاغين.

12. أمين الخرّازين.

13. أمين البلاغجيّة.

14. أمين البرادعيّة.

15. أمين الصّباغين.

16. أمين النّجارين.

17. أمين المقايسيّة.

18. أمين الفخّارين.

19. أمين السّمانين.

20. أمين العطّارين.

21. أمين الشوايشيّة.

22. أمين étameur

23. أمين الكّواشين .
24. أمين الصّبانين.
25. أمين الحصّارين.
26. أمين الحوّاتين.
27. أمين الدّلالين.[1]

فالواقع أنّ المدن الجزائريّة كانت تضمّ العديد من الصّناعات الّتي يحقّ لنّا وصفها بالتّنوع والإتقان والتّنظيم، إذ كانت موزعة على عشرات النّقابات المهنيّة، ففي منطقة قسنطينة كان عدد الحرف يناهز العشرين وعلى رأس كل حرفة أمين، وفي مدينة الجزائر ناهز عدد الحرف الأربعين، ولكل مهنة أمين يعرف بالصّنعة الّتي يشرف عليها كأمين الفضّة، وأمين الخيّاطين، وأمين الطرّازين، وأمين السّراجين، وأمين البلاغجيّة، وأمين العطّارين، وأمين الشوايشيّة، وأمين الدبّاغين، وأمين المقايسيّة، وأمين النّجارين، وأمين الخزفيّين، وأمين الصّباغين، وأمين الصواينيّة، وأمين الحرايريّة، وأمين البنّائين، وأمين الكّواشين، وأمين البّحارة وغيرهم.[2]

بقدر ماكان تقسيم العمل الحرفيّ جغرافيا كان كذلك طائفيّا، كان لكل حرفة رحبة أو سوق في درب وهي في تفس الوقت إختصاص لجماعة عرقيّة أو قبليّة. يهود مدينة الجزائر يحتكرون مثلا، صناعة المعادن النّفيسة، وبنو ميزاب يحتكرون المطاحن العموميّة والمخابز، ومنطقة الزيبان حمّالين أو مسيريّن للحمّامات العموميّة، ويحتكر سكّان بلاد القبائل البناء، ويقدم الزّنوج الخدمات المنزليّة...إلخ.[3]

[1] عائشة غطاس،" **الحرف والحرفيون...**"، المرجع السابق، ص148–149.
[2] سماعيلي زوليخة المولودة علوش، المرجع السابق، ص 294.
[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص 518،

المطلب الثّالث: العائلات الحرفيّة في الجزائر.

إشتهرت الكثير من العائلات بالنّشاطات الحرفيّة في العهد العثماني، حيث توارثت النّشاط الحرفي أبًّا عن جد عبر سنوات عديدة، ممَا زاد في تمتين النَشاط الحرفيَ وإتقان أنواع كثيرة من الحرف الَتي توارثتها العائلات عن بعضها البعض، وزادت في ترسيخ الحرفة عبر الأجيال.

وفي هذا المطلب سوف نحاول أن نذكر مجموعة من العائلات الَتي إهتمت بالنَشاط الحرفي، وسنبَين وجود بعض العائلات الَتي توارثت الحرفة أبَا عن جد، كما سنذكر أمثلة عن ذلك، وسنذكر عدة عائلات إختار أبناؤها حرفة غير حرفة آبائهم، كما سنذكر نماذج عن عائلات حرفيَة.

في مقابل ذلك أننا نجد هناك بعض الآباء وأفراد المجتمع عموما في مدينة الجزائر في العهد العثماني يمارسون حرفا كثيرة ومتنوَعة يصعب إحصاؤها لأن بعضها كان منظما يمارس داخل جماعات حرفيّة (أي نقابات) وبعضها الآخر يمارس بصورة غير منّظمة وهي حرف فرديّة أو حرّة، علاوة أنّ هناك من الحرف الّتي عرفت في الوثائق بأكثر من اسم واحد، وقد تضمنّت المحكمة الشّرعية عددا وفيرا منها، ولم تكن الحرفة بالنسبة للأب (العائلة) وسيلة لكسب الرّزق لإعالة الأسرة وتكوين الثّروة فقط، وإنّما كانت علاوة على ذلك ثقافة يحملها ويعرف بها وسط المجتمع الّذي ينتمي إليه كما تشير على ذلك عقود المعاملات المختلفة الّتي كانت تحرّر بالمحكمة الشرعيّة، ونظرا إلى تلك الأهمّية الّتي يكتسبها الحرفي فإنّها كانت تعدّ موروثا أسريّا يعمل كثير من الآباء على نقله إلى أبناءهم من بعدهم.ومن الّتقاليد الرّاسخة لدى التنظيمات الحرفيّة وراثة الصّنعة في الأسرة الواحدة على امتداد جيلين على الأقل وقد كانت الأسرة شديدة الحرص على أنّ تظلّ أسرار الصّنعة وتقنياتها محصورة في نطاقها.[1]

[1] عائشة غطاس،" **الحرف والحرفيون** ..."، المرجع السابق، ص157.

ولا شكّ أنّ وصول بعض أفراد الأسرة إلى أعلى سلم في هرم التنّظيم الحرفي يعود إلى اكتسابهم مهارة ودراية وتقاليد حرفيّة لذا سعت تلك الأسر إلى العمل على استمراريتها على امتداد عدّة أجيال في الأسرة الواحدة والأمثلة في هذا الصدّد كثيرة: فهذا قدور العطّار حرفة بن الطيّب أمين جماعة العطّارين، وهذا مصطفى الخيّاط بن السيد عبد الرحمان أمين الخيّاطين، وهذا الحاج مصطفى الحدّاد صناعة ولد السيّد محمد أمين جماعة الحدّادين.

ونجد أيضا أن الحرفة لا تؤخذ على الوالد فحسب بل على الأخ الأكبر وهي ظاهرة واسعة الانتشار، ومن الأمثلة على ذلك: الحاج إبراهيم أمين الجيّارين وأخوه مصطفى الجيّار، والحاج عبد القادر أمين النّجارين وأخوه محمد النّجار.

وبخصوص انتقال الحرفة فنجد أنها تنتقل من الجد إلى الحفيد دون مرورها بالأب كما تنتقل الصّنعة عن طريق الخال مثل ذلك: عائلة حمّادوش، وتبدو هذه الخاصيّة مميزّة في صنعة الحرارة كما تبيّن هذه الحالة السيّد الحاج محمد الحرّار بن قاسم وحفيده الشّاب أحمد الحرّار بن علي والحاج علي بن محمدّ بن عبد الرحمان بن أمين الحرّارين.[1]

وفيما يتعلّق بالعوامل الّتي كانت تؤثر في الموروث الحرفيّ من الآباء إلى الأبناء وتمنع حدوثه فكانت بغير شكل متعدّدة، وتلك العوامل هي الّتي تّفسر لنا عدم انتقال حرفة الآباء إلى الآبناء في كثير من الحالات على الرّغم من العلاقات الأسّرية القوّية الّتي تشدّ الآباء إلى أبنائهم وتدفعهم إلى تعلّم حرفهم، ولكن مع ذلك فقد كان يقع ما يحول حدوث ذلك التّعلم ويؤدي إلى انقطاع حبل التّواصل الحرفي بين الجانبين ومن بعض هذه العوامل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كان منها الإفلاس الّذي كان يتعرّض له بعض أصحاب الحرف لأسباب مختلفة ماليّة وتجاريّة، إذ كان الإفلاس يؤدي ببعضهم إلى تغيير حرفهم فقط وكان بعضهم الآخر يؤدي بهم إلى التّوقف عن ممارسة العمل الحرفي تماما وبيع محلاتهم الّتي كانوا يمارسون فيها عملهم

[1] عائشة غطاس، " **الحرف والحرفيون**..."، المرجع السابق، ص159.

وذلك من أجل توفير المال الّذي هم في حاجة إليه للنّفقة على أسرهم وتسديد الدّيون العالقة بذمّتهم والمغارم الّتي تربت عليهم تجاه المخزن (البايلك)، والعامل الثاني الذي يؤثر في انتقال الموروث الحرفي من الآباء إلى الأبناء هو الذي كان يحدث عندما يتوقف الآباء عن أولادهم وهم صغار في السّن ولم تكن تسمح لهم بتعلم حرف أباءهم وحتى ظروف اليتيم والوّصاية التي يعيشون فيها من بعد آبائهم لا تسمح لهم غالبا ما يكونون إمّا تحت وصاية والدتهم أو وصاية شخص آخر يمارس حرفة غير حرفة والده[1].

إذن فمن مميزات المجتمع الحرفي هو الحفاظ على الموروثة الحرفيّة في صنعة معينة.

المبحث الثّاني: أهمّ النّشاطات الحرفية في الجزائر.

المطلب الأوّل: الحرفة في المجال الزّراعي.

تنوعت الحرفة في المجال الزّراعي حيث نجد نشاطات حرفيّة يدويّة، خاصة تلك الوّسائل الّتي يستعملها الفلاحون للممارسة نشاطهم الزراعي، وتسهله عليهم وهنا سنبّين بعض الأدوات الحرفيّة الّتي كانوا يستعملونها ونقف عند بعض منها.

عرف الميدان الزراعي ازدهارا وتطورا كبيرا، الّذي كان يمثل معيشة غالبية السكّان في الأرياف، والّذي تميز بالانتعاش والتّنوع في المحاصيل الزّراعية فمثلا نذكر من بين أهمّ المنتوجات في الشرق الجزائري الحبوب الّتي تعتبر من أهمّ المحاصيل الزّراعية، وقد اشتهر بها

[1] خليفة حماش، "**الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، (غير منشورة)، إشراف، فاطمة الزهراء قشي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 1427هـ/2006م، ص44، ينظر: الملحق رقم 05، ص115.

سهول عنابة وسطيف وبجاية ومازونة ونواحي وادي الزيناتي، وقالمة، واشتهرت نواحي الحضنة وجهات الأوراس بزراعة الحبوب الجافة الذرة، والمناطق التلية الخصبة بزراعة الأرز.[1]

كما تنتج الأراضي المحيطة الخضر والفواكه والمناطق الجبيلية مختصة بإنتاج زيت الزيتون والتين، واشتهرت منطقة الأطلس الصحراوي بإنتاج التمور، وزراعة القطن وغيرها من المحاصيل الزراعية.[2]

بالإضافة إلى توفر الثروة الحيوانية، إذّ اهتمّ المجتمع الجزائري بتربية الحيوانات وهي تختلف من منطقة إلى أخرى ، فكانت الأغنّام والجمال منتشرة بكثرة في منطقة الهضاب العليا، والمنطقة التلية كانت متخصصة في تربية الأبقار، والماعز، والخيول، والبغال نجدها عنّد كل القبائل تقريبا، إلى جانب تربية الدّواجن، وخلايا النحل، وللثروة الحيوانية أهمية كبيرة كونها مكملة لإنتاج الزراعي والحرفي.[3]

كما أن الفلاح الجزائري عامة إحتفظ بأساليبه التّقليديّة في إستغلال الأرض، ولم يطور وسائل إنتاجه فكان يعتمد على الآلات البسيطة كالمحراث الخشبي والمنجل البسيط، والإلتجاء إلى رماد الأعشاب المحروقة، وروث الحيوانات لإخصاب التربة، أو ترك الأرض لمدة سنة أو أكثر لتستعيد خصوبته.[4]

---

[1] فلة قشاعي، "**النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني(1771م-1837م)**"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،(غير منشورة)، إشراف، ناصر الدين سعيدوني، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 1989-1990م، ص10.

[2] صالح عباد، **المرجع السابق**، ص ص 512-513.

[3] أرزقي شويتام، "**المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني**"، المرجع السابق، ص217.

[4] ناصر الدين سعيدوني،" **ملكية الأراضي بالجزائر أواخر العهد العثماني وتأثيرها على البنية الاجتماعية بالريف**"، في أعمال الملتقى الثالث لتاريخ وحضارة المغرب، ج1، الجزائر، 1983، ص218.

المطلب الثاني: الحرفة في المجال الصناعي.

تنوعت النّشاطات الحرفية في المجال الصّناعي تنوعا كبيرا وكان هذا المجال من أكثر ما حوى من النشاطات الحرفية فقد كانت الأسواق والشوارع والبيوت تزخر بالنشاطات الصناعية بشكل كبير، وفي هذا المطلب سنحاول أنّ نذكر أنواعا كثيرة من الحرف الّتي تكمن في هذا المجال ونقف على عدة نشاطات حرفية لنسلط عليها الضوء في كيفية صنعها.

كانت الصّناعة يدويّة بعيدة عمّا وصلت إليه الصّناعة الأوربية حتى قبل الثورة الصّناعية، فتعمقت الهوّة بين الجزائر وأوربا أكثر من ظهور تلك الثورة. كانت الصّناعة موزعة بين الريف والمدينة. فالصّناعة في الريف كانت تلّبي حاجيات سكانه أساسا، أمّا صناعة المدينة فكانت تلبي الحاجات الأساسية لسكان المدن وكماليات الفئات المحظوظة، الّتي لم تكن تكتفي بالمنتوجات المحلية بل تستوّرد المنّتوجات الخارجية الأوربية منها بصفة خاصة، لم تصل الجزائر في هذا العهد إلى تكوين مراكز صناعية في المدن، قادرة على قيادة النّشاط الإقتصادي، وإذا كان هناك تخصّص بين الجهات فإن الظروف الطبيعية هي الّتي فرضته.[1]

الطّرز التّقليدي: ازدهار الطّرز في الجزائر مرتبط بالدخول العثماني في القرن السّادس عشر، حيث أدخل الأتّراك أساليب جديدة مخصبة بمضامين عربية وفارسية، كما لا يمكن إهمال التأثير الأندلسي في القرن 15م، الّذي أورّث دول المغرب العربي مؤثرات فنية يعكس الحضارة الأندلسية خاصة بمدن الرباط، فاس، تلمسان، الجزائر، تونس، هذا التمازج بين الطابع الأندلسي والتركي ولد فنا زخرفيا ذو سحر تعبيري وجد تألقه في القرن 18م /19م، في شكل مطروزات رائعة على أنسجة حريرية وأقمشة ناعمة وأخرى رقيقة غير متشابكة étaminé، وحتى على الجلود.

[1] صالح عباد، المرجع السابق، ص514.

شساعة البلاد هي الأخرى سمحت بوجود أكثر من نوع للطرز فنجد الطرز الريفي خصوصا في مرتفعات القبائل وعند بني ميزاب وتقرت وقبائل الهقار والأوراس، أما طرز المدن فيتمركز بمدن العاصمة وعنابة وقسنطينة وتلمسان، ويشترك الصنّفان في كونهما ينجزان يدويّا، إذّ ينجز طرز المدن بواسطة خيوط رفيعة مصنوعة من الذهب أو الفضة خصوصا وعلى أقمشة مصنوعة من الحرير والكتان، والقطن والقطيفة (وهي النّوع المستّعمل في الغالب)، وتكون هاته الأقمشة ذات ألوان داكنة زرقاء وحمراء وأرجوانية، في حين يكون الطرّز الموجود في الأرّياف على أقمشة مصنوعة من الصوف أو من وبر الجمال، باستثناء الطّرز القبائلي الّذي يمكن أنّ يتم على أنواع أخرى من القماش بحيث يشترك مع النوع الأخير من الطرز في التصّميم.[1]

النّسيج التّقليدي: تعتبر صناعة النّسيج واحدة من أهمّ الحرف التّقليدية الّتي ورثها الجزائريون عن أجدادهم، وهي نتاج الحضارات المتعاقبة فجذور هذه الحرفة تضرب في أعماق التاريخ واستطاعت أنّ تلّبي معظم حاجيات السكان من الملبوسّات والزّرابي والأفرشة والبرانيس وغيرها من الأغراض التي تدخل في صناعتها الخيوط النسيجية بالعديد من المناطق الصحراوية نظرا لتمسك أهاليها بالحرف التّقليديّة.

ويعتبر النسيج أحد أهم سفراء تراثنا وهي حرفة اختصت بها النساء وتحولت إلى لغة يتخاطبن بها ويعبرن من خلالها عن إبداعهن وإتقانهن صنعة الجدات، وتنتشر صناعة النسيج في عدة مناطق من الوطن لكنها تنحصر بصفة خاصة في المناطق الصحراوية حيث تستعمل منتجات النسيج في الحياة اليوميّة.

ويصنف النسيج ضمن ميدان الصّناعة التقليديّة والصّناعة التقليديّة الفنية في قطاع النشاط رقم ستة، وينقسم إلى أربعة أنشطة وهي:

[1] LABOURDETTE, Jean- Paul Martin Mari- HéLéne Algerie 4eme edition, Le Petit Futé، paris، 2009, P115.

- الطرّز على القماش.
- الرّسم على القماش.
- خياطة الملابس التقليدية.
- صناعة أغطية الرأس التقليدية.[1]

الصّناعة الفخاريّة: أي صناعة الأواني الفخاريّة وهذا النوع من الصّناعة عرف تطورا كبيرا حيث كان يعتمد ممتهنون على مادة الخزف الّتي تعتبر المادة الأساسية في تشكيله،[2] واشتهرت بهذه الصّناعة مدينة ندرومة القريبة من تلمسان، ونجدها تتربع في مناطق أخرى بإنتاجها المتنوع، كمّا ونوعا وألوانا وزخرفة، وتدخل التقّنيات الطبيعية كعامل رئيسي من حيث نوعية الأتربة والحصى الّتي تجوف، وظهرت فيها أنواع خاصة وعامة.

وتعتبر منطقة الخميس والعزايل من أهم المناطق التي لها هي الأخرى مساهمة ضخامة في إنتاج هذا النّوع من الحرف، وتزداد نوعية الإنتاج في نواحي رمشي الّتي تتكلف بصناعة الزهريات والأشياء الزخرفية المنزلية والأكواب والصحون والقلال، وفي مقابلها نجد منطقة بن سنوس هي الأخرى اختصت في هذا المجال وتفننت في إعطاءه نوعا من المكانة والرقي داخل المجتمع.[3]

---

[1] بن العمودي جليلة، "**إستراتيجية تنمية قطاع الصناعة التقليدية والحرف بالجزائر في الفترة 2003. 2010** "، دراسة حالة نظام إنتاج محليSPL ، بحرفة النسيج التقليدي بمنطقة تقرت، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإقتصادية، (غير منشورة)، إشراف، بن عيسى محمد المهدي، كلية العلوم الإقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة ، 2012/2011، ص145.

[2] الحاج شاوش، محمد بن رمضان، "**باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**"، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1995، ص330.

[3] عقاب محمد الطيب، "**الأواني الفخارية الإسلامية دراسة تاريخية فنية مقارنة**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1984، ص115.

كانت القبائل الرعوية تصنع المنّسوجات الصوفية والخيّام والحيّاك والزّرابي، وكان سكان المنّاطق الجبلية يصنعون الأدوات الفلاحيّة والأسلحة، لأنفسهم ولفلاحي السهول والبدو، حتى لسكان المدينة.

وكانت المدن تحتوي على الصناعات الغذائية، من الطواحين والمخابز ومعاصر الزيتون وصناعة السّفن، الّتي إشتركت فيها الدولة إلى جانب الخواص، وصناعة النّسيج والمجوهرات.[1]

المطلب الثّالث: الحرفة في المجال التّجاري.

لايقل إهتماما النّشاط الحرفي في المجال التّجاري أهمية عن غيره من المجالات إذ يعد هو كذلك من بين المجالات الّتي تزخر بالنّشاط الحرفي ولكن بشكل مغاير، فنحن هنا لا نقف على أنواع الحرف وإنّما سنقف على أهمّ الأسواق والشوارع الّتي كانت تضم النّشاطات الحرفيّة والتّجار، لنذكر أهم هذه الأسواق والشوارع وكيف كانت النشاطات الحرفية فيها، وعملية العرض والطلب للنّشاطات الحرفيّة.

كانت الإختلافات بين المناطق من حيث الإنتاج الزراعي والإنتاج الصناعي سببا أساسيا في قيام التّجارة الدّاخلية. كانت المبادلات بين الريف والمدينة، بين المناطق الجبلية والسهلية، بين التل والجنوب تتم أساسا في الأسواق الأسبوعية والسنوية وهذه الأسواق تقع في أغلبيتها في المناطق الريفية. كانت الإدارة تقيمها وتنظمها وتراقبها كي تحصل على الرسوم.[2]

انتشرت في إيالة الجزائر الأسواق اليومية بالمدن الأسبوعية بين العروش والقبائل كسوق تلاغمة وورقلة ومعسكر والأسواق الموسمية الّتي كان أشهرها سوق وادي العثمانية تحت إشراف

[1] صالح عباد، المرجع السابق، ص ص 514- 515.

[2] نفسه، ص519.

شيخ العرب حيث تختلط السلع والمنتوجات المحلية بالمستوردة من أوربا وبعض الممالك الأفريقية.[1]

وكانت أسواق المدن متعلقة بأصناف الحرف والصنائع، ففي قسنطينة كان هناك الحدّادين والسّفارين(النّحاس)، وشقماقجين(مصلحو البنادق)، والسّراجين، والخزّازين(إسكافي)، وصناع أحذية الفرسان والبشماقيين(أنواع البشماق والخف والريحية) وغيرها، من تسميات أصناف الحرف والأسواق. ويعود الفضل في جعل مدينة قسنطينة المدينة الثّانية من حيث النّشاط التّجاري والصّناعي في الإيالة إلى مجهودات صالح باي وتنظيماته الإدارية والاقتصادية.[2]

وكان للقاضي دور هام في تسجيل الأسعار والعقود بين التجار والقروض والمبيوعات لإضافة الشرعية في المعاملات التّجاريّة، وهذا ما بينه دفتر التّجارة والعقود والمنّازعات لمدينة المدّية في الفترة ما بين 1823م-1838م، حيث احتوت على أثمان وأسعار اختلفت قيمتها بين ما بيع في داخل المدينة وخارجها.[3]

أمّا تجارة سكان الصّحاري فاعتمدت على المبادلات ذات الشكل البدّائي بأسلوب المقايضة ونادرا ما تستعمل النقود بين قوافل التّجارة المحملة بالعبيد والعاج وريش النعام.[4]

[1] محمد العربي الزبيري،" **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين1752/1830م**"،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص112.

[2] ناصر الدين سعيدوني،" **ورقات جزائرية...**"، المرجع السابق، ص 290.

[3] أبو القاسم سعد الله، "**دفتر محكمة المدية**"، المرجع السابق، ص135.

[4] محمد العربي الزبيري، "**التجارة الخارجية للشرق الجزائري**"، المرجع السابق، ص109.

منح النظام الجمركي العثماني امتيازات لسكان الجزائر بمختلف تركيباتهم تقضي بعدم دفع الرسوم الجمركية في موانئهم العثمانية عن أموالهم المنقولة الّتي فوضوا عليها وكلاء للقيّام بتجارتهم وكانوا يلاقون نفس التّسهيلات في موانئ الإيالة رغم دفع بعض الرسومات الجمركية.[1]

وكانت يزاحمهم في تلك الامتيازات بعض اليهود التجار الّذين احتكروا التّجارة الخارجيّة منذ أواخر القرن 18م، بعدما استحوذ على ثقة الدايات في الإيالة ونفس الحالة بالنسبة للشركة الفرنسية التي تحصلت على تسهيلات لتصدير الحبوب والصوف والجلود.[2]

وعلى سبيل المثال نذكر بعض الأسواق والشوارع الّتي تركزت فيها الحرف الصّناعيّة بمدينة الجزائر:1 سوق الحدّادين،2 سوق الخشبية،3 سوق الغزل،4 سوق الحرايريّة،5 سوق اللوح،6 سوق جشاقماجيّة (صناعة البنادق)،7سوق السماسريّة،8 سوق الفخّارين،9 سوق العطّارين،10 سوق الفضة،11سوق الخبازين،12 سوق النجارين،13 زنقة الرصّايصة، 14زنقة المسايسة (الأساور)، 15 زنقة الصيّاغة،16 زنقة النحاسيّن، 17زنقة النوادة (الخيوط المذهبة)، 18زنقة الفرايغة (الأغلاق)، 19 زنقة البشامقية (نوع من الأحذية)،20 زنقة الدبّاغين، 21 زنقة الذوابين، 22 زنقة الخرّاطين، 23 زنقة الشوايشيّة (القلانس)، 24 زنقة البلاغجيّة.[3]

[1] طوني فكري، "**نظام الجمارك والتجارة الخارجية لإيالة الجزائر**"، المركز الوطني للدراسات التاريخية، مجلة التاريخ، رقم7، الجزائر، 1979، ص84.

[2] أبو القاسم سعد الله، " **محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال**"، ط2، الجزائر، 1976، ص156.

[3] إسماعيلي زوليخة المولودة علوش، المرجع السابق، ص ص294-295.

المبحث الثّالث: واقع الحرفة في الجزائر وما آلّت إليه.

المطلب الأوّل: مميزّات وخصائص الحرفة.

تميزّت الصّناعة الجزائريّة في العهد العثماني بهذه الخصّائص أهمّها:

– كان تقسيم العمل الحرفي طائفي أكثر منه جغرافي فكانت لكل جماعة عرقية أو طائفية حرفة خاصة بها، فالإغريقيون مثلا يشتغلون بالتنظيف والبسكريون في التحميل، وبني ميزاب يحتكّرون المطاحن والمخابز...إلخ.[1]

– التّنظيم: فكل حرفة لها أمينها العام المعين من طرف السلطات باتفاق مع كبار ممثّلي الحرفة، وعلى رأس مجموعة الحرف توجد هيئة لها طابع إدارة بلدية تشرف على الجماعات الحرفيّة، أمّا أمين الأمناء فهو الّذي يمسك دفاتر ووثائق هذه البلدية ويقوم بتقديم شكاوى جماعة حرفيّة معينة إلى السلطات العليا.[2]

– توارث بعض العائلات والطوائف نوع من الحرف كطائفة اليهود والأندلسيين الّذين يرجع لهم الفضل في المحافظة على الصّناعة المحلية.

– اعتمدت الصّناعة الجزائرية على الموارد الأوليّة المتوفرة كالأصواف والجلود والأخشاب.

– خضعت صناعة المدن لتحكم ومراقبة النقابات المهنية، بحيث إنحصرت صلاحيات أمناء هذه النقابات في الإشراف على أصول المهنة والحرص على وجود البضاعة وتحديد كمياتها.

[1] صالح عباد، المرجع السابق، ص518.

[2] المنور مروش،" **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة، الأسعار والمداخيل**"، دار القصبة، الجزائر، 2009، ص336.

– أضرت منافسة المصنوعات المستوردة المصنوعات الجزائرية ولقد ساعد على هذه المنافسة غلاء أسعار المصنوعات الجزائرية وعدم انتهاج الحكومة سياسة الحماية الجمركية. والعمل على تشجيع الإستيراد الخارجي.[1]

– اقتصرت الصناعة المحلية بالبوادي على تلبية الحاجات الضرورية للعيش، فيما تميزت الصّناعة بالمدن بإنتاجها للأشياء الكمّالية.

– بالرّغم من النشاط والحيويّة الّذي عرفته الصّناعات التّقليديّة المحليّة فإنّ الصّناعة المعدنيّة أو الثقيلة لم تشهد تطورا لا من حيث الكميّة ولا من حيث الكيفيّة.

– وقد ساهمت الضرائب المتزايدة وتحكم النقابات المهنية في إعاقة الصّناعة الجزائريّة من التطور.[2]

والملاحظ على النشاط الحرفي في الجزائر في العهد العثماني أنّه كان متنوعا، يعتمد على المادة الأوّلية المحليّة، وكان الإنتاج فيه من أجل الاستهلاك المحلي، كما استمدت طابعها من التراث وزاوجت بين التأثير المحلي الشرقي والأندلسي والأوروبي.

[1] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص158.

[2] ناصر سعيدوني،" **النظام المالي للجزائر**"، المرجع السابق، ص ص 36–37.

المطلب الثّاني: المشاكل الّتي واجهت النشاط الحرفي خلال الاستعمار .

تعدّدت المشاكل والأسباب الّتي أودت بتراجع الصّناعة التقليديّة والنّشاطات الحرفيّة في الجزائر، والتي حالت بين تطور الحرفة في الجزائر وتقدمها، وإقبال أهل الحرفة والصّنائع عليها، فعملت الجزائر جاهدة على البحث عن الحلول لتجاوز هذه المعيقات والمشّاكل وللرّقي بالصّناعة التقليديّة والحرفة، وإعادة النّشاط الحرفي إلى مكانته الأصليّة، خاصة مايضم هذا القطاع من نشاطات متنوعة تسدّ أبواب حاجات كثيرة في سوق الطلب، ومن تحقيق للإكتفاء الذّاتي إذا أعطي لهذا الجانب المستوى المطلوب.

أمّا عن المشّاكل الّتي عانى منها النّشاط الحرفي في الجزائر، والّتي حدت من تطوره، فتمثّلت في عدة نقاط من بينها:

– الضرائب وتحكم النقابات المهنيّة في الصناع الّتي كانت من أهمّ العوامل الّتي عاقت التّطور الصناعي في الجزائر العثمانيّة.

– القطاع التّجاري الّذي عرف ركودا بسبب إهمال العلاقات التّجارية مع أفريقيا والدول الأوروبية حياة الإقتصاديّة في الإيّالة، فأصبحت الجزائر أقلّ بلدان المغرب حظا في ميدان التّجارة العالمية.[1]

– الإحتكّار الحكومي، فقد كان الدّيوان أكبر تاجر في الإيّالة، فله الحق وحده في بيع الحبوب، فهو الّذي يحدد السّعر ويحرم بيع المنّتوجات للشّركات الأجنبيّة إلاّ بفوائد تتراوح مابين 50% إلى 60%.[2]

– ضعف التّشريعات الواضحة في تنظيم العمل و تطوره .

[1] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص158.

[2] نفسه، ص 159.

– النظرة الدونيّة للنّشاط الحرفيّ أدّت إلى إعراض الاجيّال الجديدة عن ممارسة هذا النّشاط والتنّكر له، بسبب جهل أهمية الصّناعة التّقليديّة ومنتجاتها من جوانيها الثقافيّة والاقتصاديّة.

– تدّني مستوى الظروف وبيئة العمل والرّعاية الصحيّة والاجتماعيّة للعاملين.

– صعوبة الحصول على محلات للممارسة المهنة وعلى العتاد الضروري لعملية الإنتاج إضافة إلى مشاكل التموين للمواد الأوّلية ووجود صعوبة في توفيرها بجودة مقبولة وأسعار مناسبة.

– انخفاض الموارد المالية الذاتية وصعوبة الحصول على قروضها الميسرة أدي إلى هجرة العاملين في هذا القطاع إلى مجالات عمل أسهل وذات مردود أعلى.

– ندرة البحوث والتوثيق والتسجيل للمهن والصّناعات التقليديّة والحرف أدى إلى عدم وجود قاعدة بآليات عن هذه الحرف والصّناعات.

– انعدام الخدمات والاستثمارات الفنية الّتي تقدم للعاملين مع ضعف وقلة برامج التكوين وقلة المراكز المتخصّصة.

– انعدام التّسيير العلمي في العديد من الصّناعات التقليديّة والّذي ينعكس على تحسين النوعيّة والاستغلال الأمثل للمادة الأوليّة واستخدام التكنولوجية والإبداع والتطور.

– قلة عدد السّواح الوّافدين إلى الجزائر ممّا يؤثر على المبيعات وهذا راجع لعدة أسباب كالوضع الأمني المضطرب الّذي كان يسود الجزائر.– عدم ملائمة أغلب الصّناعات التقليديّة والحرفيّة للمتطلبات الحديثة وقلة تنوع أصنافها وعدم قدرتها على مواجهة المنافسة.[1]

[1] علمي لزهر،" **أهمية نظام المعلومات التسويقي في اتخاذ القرارات التسويقية**" ، رسالة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير في العلوم الاقتصادية، (غير منشورة)، فرع التسيير، جامعة الجزائر،2006/2005، ص119.

المطلب الثّالث: بعض الحلول للنّهوض بالنّشاط الحرفي في الجزائر.

اتجهت جهود الجزائر في السنوات الأخيرة إلى التّركيز على توفير مختلف أشكال الدّعم والشروط؛ الّتي من شأنها أنّ تساعد على النّسيج الصناعيّ الحرفيّ القاعديّ، المشّكل أساسا على المؤسسات المصغرة ذات الطابع الحرفي ومن ثم توفير الظروف المواتية للنهوض بالقطاع. ولهذا فقد تم العمل على تحفيز الاستثمارات في قطاع الصناعة التقليدية والحرف من خلال تحسين المناخ الاستثماري فيه، والذي من خلاله يمكن تحسن التسويق للمنتوجات التقليدية والنشاط الحرفي، وجلبه السياح.

وقد أدركت الحكومة الجزائرية أهمية الصّناعة التّقليديّة والنّشاط الحرفي فأعطتهما دعمهما الكامل لإحيائهما من أجل تصدير وتنشيط القطاع السياحي، فقامت الوزارة الوصية بإعداد اقتراح استراتيجية لتنمية الصّناعة التقليديّة والنّشاط الحرفي من خلال تطبيق عدة إجراءات.

ومن بين الحلول الّتي سعت الجزائر لتحقيقها تكمن في: [1]

– ملائمة وتليين الجهاز التشريعي والتنظيمي مع الأخذ بعين الاعتبار التّطورات والتحولات التي عرفتها نشاطات الصّناعات التقليديّة والحرف.

– دعم وتعزيز موقع ومكانة الصّناعة التقليديّة والنّشاط الحرفي على المستوى المحلي والوطني بتوعية الجماهير بدور وأهمية هذه الصّناعة ولإبراز أهمية العمل اليدوي والمهني.

[1] حسب تصريحات وزير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية السيد مصطفى بن بادة ، في موقع وزراة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية، www.pmeart.dz.irg. بتاريخ 2009/1/5.

– تأمين الحماية التشريعية لصنائع الحرفيّة سواء كان عامل أو صاحب عمل بمتابعة ظروف بيئته وشروط العمل والسلامة الصحيّة والمهنيّة بالإضافة إلى تأمين الحماية الاجتماعيّة للعامل.

– تنظيم وتحسين تموين الحرفيّين للمواد الأوّلية والتجهيزات والعتاد الذي يعتبر إحدى العراقيل الكبيرة التي تواجه نشاطات الصّناعة التقليديّة والحرف.

– تشجيع الاستثمار في هذا المجال لتحفيز الإنتاج والحدّ من السياسيات الّتي تعرقل نمو هذه الصّناعة وتنمية العمل البيتي والّذي يعتبر خصوصية من خصائص هذه الصّناعة حيث تمارسه النّساء الحرفيّات خاصة في الأرياف.

– إعداد برامج تكوين ملائمة بتنسيق القطاع التكويني والتعليم المهني، وإنشاء معاهد مخصّصة للتدريب على الحرف التقليديّة.

– دعم الصّناعة في مجال التسويق وفتح المجال لمنتوج الصّناعة التقليديّة والحرف للدخول في الأسواق الداخليّة والخارجيّة.

– إنّ إنجاز هذه الاستراتيجية يتوقف على جميع جهود كل المعنيين على المستوى المحلي والوطني كما يتوقف على قدرة الحرفيّين على تنظيم أنفسهم والتكفل الواعي لنشاطاتهم، إنّ هذه الاستراتيجية لها آثار إيجابية في حالة تطبيقها بشكل مضبوط كل على حدى بالنسبة للمنتوج والحرفي، والمجتمع والاقتصاد الوطني والدعم الإعلامي والإتصالي.[1]

[1] مصطفى بن بادة، في موقع وزراة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية، نفسه.

الخلاصة:

دخلت البلاد الجزائرية مرحلة من الضعف أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م، شهد خلالها أزمة هددت إستقرارها، وكانت الجزائر تعيش نفس الظروف، من ضعف داخلي، وعدوان الأحلاف الأوروبية، هذه الظروف كلها عكست ظهور مرحلة جديدة من تاريخ الجزائر عامة، والنّشاط الحرفيّ خاصة، لذلك نجد أنّ الجزائر، قد دخلت إلى مشاكل ومعيقات حالّت بينها وبين تطور هذا النّشاط الحرفي، وما زاد الطين بلة، هو دخول الإستعمار الفرنسي إلى الجزائر الّذي أدى إلى تدهور واقع النّشاط الحرفي، فسّعت الجزائر بعد تجاوز هذه الفترة للحاق بالرّكب من جديد من خلال إعطاء بعض الحلول لإعادة هذا النّشاط الحرفي إلى مكانته المرموقة الّتي كان عليها في عهد قريب، وقد كانت مدينة القصّبة من بين المدن الّتي إشتهرت بالصّناعة الحرفيّة وتنوعت فيها بكثرة في تلك الفترة، غير أنّ الإستعمار الفرنسي حالّ بينها وبين تطور هذه النّشاطات الحرفيّة.

الفصل الثّالث:

أنموذج عن القصبة في النشاط الحرفي

المبحث الأوّل: مدخل لمدينة القصبة والنّشاط الحرفي بها

المبحث الثّاني: واقع النّشاط الحرفي في ظل الحكم العثماني بالقصبة

المبحث الثّالث: نماذج عن النّشاطات الحرفية الّتي إشتهرت بالقصبة

المبحث الأوّل: مدخل لمدينة القصبة والنشاط الحرفي بها.

المطلب الأوّل: المفهوم وأصل التسمية.

تعد القصبة بالجزائر العاصمة، من أهم الأماكن الّتي تزخر بالحرف والصّناعات التقليديّة حيث كان سكانها الحرفيون يعرضون أجمل صناعاتهم التقليديّة في أزقتها العريقة.

والقصبة تعني في الاصطلاح المدينة أو أعظم مدن القطر أو القرية أو وسط المدينة أو المركز الحضري، وقد عرف هذا اللّفظ واشتهر كثيرا في المغرب العربي ويطلق على القلعة الّتي بها مقر الحكم ولقد أحيطت بأسوار وبروج وقلاع وحصون تجعل الأمير في مأمن من غضب الرعية أو تمرد الجيش.

فقد بنيت هذه القصبة من طرف الموحدين على مساحة تقدر بهكتارين وتعرضت عبر العصور المتتالية إلى أكثر من التحويرات خاصة تلك الّتي وقعت في القرن السّادس عشر وعن مدى القوة الدفاعية الّتي كانت تتمتع بها، يقدم لنا مرمول وصفا هاما عن أبراج المدينة كلها خاصة برج البحر، وبرج موسى، والقصبة، وعن هذه الأخيرة يقول فيرو"بأنها أي القصبة، مبنية بالآجر الأحمر فوق أسس أحد البنايات المحصنة التي كانت تحمل الميناء في العهد الروماني".[1]

وقد وجدت عدة قصبات أشهرها قصبة تاهرت عاصمة الدولة الرستمية، وقصبة ماردة الّذي بناها عبد الرحمان الأوسط 220هـ/835م، وقصبة آشير عاصمة الزيريين 936هـ/1007م، بالإضافة إلى قصبة تونس وقصبة مراكش وقصبة مدينة الجزائر.

[1] لخضر درياس، المرجع السابق، ص187، ينظر: الملحق 06، ص116.

المطلب الثّاني: الموقع ومراحل التأسيس.

وتقع القلعة "القصبة" خلف جامع سيدي رمضان حيث تقع القصبة على إنخفاض 300 متر، عن مستوى القصبة الّتي نعرفها الآن، وفي الواقع فقد إمتدت بدون شك نحو الغرب من سنة 1552م-1572م، وهو تاريخ وثيقة غرفت، والّتي أعطت لجامع سيدي رمضان الإسم الّذي حمل خلال قرنيين من الزمن وهذا الإسم هو جامع القصبة القديمة، يعني ضمنيا بأنه يوجد مسجد جديد آخر.[1]

واسم الجبل، وسط مجموعة من المرافق الإدارية منها: الجامع البراني، ودار الآغا، وبيت المال، ومحكمة الآغا الملاصقان للجامع البّراني، يحدها من الجهة الشّمالية الحدائق الّتي تحمل اسم حدائق الرّائق أو ما يسمى بجنان الدّاي ثم الإسطّبلات الخاصة بخيول الداي وخيول أعضاء حكومته، ومن الجهة الجنوبية حي الثغريين، أمّا من الجهة الجنوبية الشرقية فتتصل بأسوار المدينة الشرقية والباب الجديد والطريق الرابط بينهما وبين حي الثغريين.[2]

ورغم المكان الاستراتيجي المهم الّذي تحتله هذه المنطقة إلاّ أنّها لم يكن لها دورا مهما لانّ مقر الحاكم كان بالجزء الأسفل من المدينة حتى سنة 1232هـ/1817م، لما حول علي خوجة مقر الإمارة إلى القصبة العليا، وقد كان السكان من عامة الشعب يقيمون بهذه الجهة، فيما كانت الجهة السفلى المواجهة للبحر وأصحاب الثروة وقناصل الدول الأجنبية.[3]

أدّت التضاريس وتأقلم أفراد المجتمع طوبوغرافية الموقع إلى تباين قسمين رئيسيين لمدينة الجزائر وهما القسم السفلي المحاذي للبحر والّذي يشغل القسم المسطح من المدينة،

---

[1] كورين شوفالييه، "**الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر1541/1510**"، تر، جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 13.

[2] علي خلاصي،" **قصبة مدينة الجزائر**"، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ج1، 2007، ص49.

[3] نور الدين عبد القادر،"**صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**"، ط2، الجزائر، 1965، ص127.

والقصبة العليا الّتي تبدأ مع أولى المنحدرات إلى غاية قصر الدّاي، يتراوح علو هذا القسم ما بين 15و130م، أمّا عن القصبة العليا والمسماة أيضا الجبل فهي تمتاز بمباني مكتظة وتعتبر المدينة العربيّة الأصيلة لأنّ هذا القسم بقي محافظا على أصالته الّتي تسمح لنا بإعادة تصور الجزائر خلال العهد العثماني. لأن المستعمر لم يهتم بالقسم العلوي بالمدينة الّذي حافظ على نمط الدور وكذا السكان المحليين بل ركز جهده على تحويل القسم السفلي (اللوطى)، لجعله منطقة مرور سهلة العبور وساحة تجمع أفراد الجيش المكلفين أساسا بالضغط على الأهالي.[1]

أمَّا القسم السفلي من المدينة فهو يعتبر بمثابة حي خاص بالأعمال ففيها يوجد الشارع التجاري الّذي يربط باب الواد بباب عزون ووجود الميناء بالقرب منه ويزيد من أهميته ممّا يضيف حركية على هذه المنطقة وفيها أيضا مقرات الإدارات المختلفة وإقامات دار عزيزة وقصر حسن باشا، وقصر مصطفى، وفيها أيضا توجد أكبر المساجد وأقدمها، كما تمثل مقر إقامة الرايس إضافة إلى مراكز إدارية ودينية مما يشهد على أهمّية هذا القسم الحيوي من المدينة.[2]

وقد أحاط العثمانيون المدينة بالأسوار المزّدوجة بعدة أبراج كنقاط إستراتيجية للدّفاع عنها وجعلت لها أبواب تفتح عند الشروق وتغلق عند الغروب، وأهمّ هذه الأبواب:

باب البحرية أو باب الجزيرة، وهي تقع في الجهة الشّرقية، وتعرف كذلك بباب الجهاد لأنها الباب التي كانت مخصّصة لدخول وخروج القراصّنة أو المجاهدين في البحار، وقد سّماها المحتّلون الفرنسيون بباب فرنسا ثم باب البحر، وظل الأهالي إلى اليوم يسمونها بباب الجزيرة، وهي أشدّ الأبواب متّانة ومنّاعة وبجانبها كانت عدة ثكنات للإنكشارية البحرية.[3]

[1] علي خلاصي، المرجع السابق، ص199.

[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص 523.

[3] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص234.

باب الديوانة أو السماكة، وتقع في الجهة الشمالية الشرقية، وكانت مخصّصة للتّجارة البحريّة وكان يدخل منها الصيد البحري لذلك سميت بالسّماكة.

باب عزون، تقع في الجهة الجنوبيّة الشّرقية، تنسب هذه الباب إلى أحد الثوار من الأهالي واسمه عزون، ثار ضدّ الحكم التركي، ويعتبر هذا الباب من اهمّ أبواب المدينة حيث يدخل منه القادمون من الجنوب والشرق ومن السهل المتّيجي عن طريق الحراش، وهي أهمّ طريق تربط المدينة بشرق البلاد.

باب الواد، يقع في الجهة الشمالية الغربية، وقد أطلقت عليه هذه التسمية نسبة إلى الوادي الّذي يمر بجانبها، وتفتح نحو الشمال أو نحو الطريق الّتي تمر بجبل بوزريعة، وهي أقلّ الأبواب أهمية، وكان يسمى أيضا باب الموت لأنه كان يطلّ على المقابر الّتي كانت موجودة أنذاك.

باب الجديد، يوجد في الجهة الجنوبية الغربية، وهو من أحدث أبواب القصبة، يدخل منها القادمون من الغرب ومن البليدة، ويربطها طريق رئيسي بغرب البلاد منذ العهد الروماني، وهو سبيل وعر حيث يسلك الروابي والمرتفعات إلا أنّه أحسن من طرق السّهل المتيجي الّتي كانت تتخلّلها المستنقعات والأحراش في بعض أجزائها.[1]

باب القصبة العليا (دار السلطان)، وهو بمثابة حاجز يفصل بين القصبة وبين المدينة. وقد كان البوابون يغلقون الأبواب ويسلمون مفاتيحها لقائد الباب، غير أنّ بعض الدايات كانوا يفضلون الإحتفاظ بمفاتيح بابي الدزيرة والديوانة وباب الوادي عندهم لحساسيتها حتى طلوع الفجر تحسبا لأي طارئ.[2]

[1] عبد القادر حليمي، المرجع نفسه، ص232.

[2] فوزي سعد الله، "**قصبة الجزائر الذاكرة والحاضر والخواطر**"، الجزائر، 2007، ص27.

وكانت مدينة الجزائر في العهد العثماني تنقسم إلى أحياء سكنية، منها حي البحريّة الّذي تركزت به الطبقة الأرستقراطية من الأتّراك بالخصوص والمصالح التّجارية، وحي باب الوادي تركز به اليهود التّجار، وحي باب عزون للأجانب وأصحاب التّجارة من الأهالي ثم حي القصبة القديمة للعرب، أمّا حي القصبة الجديدة أو العليا فالإنكشارية، والدايات، وأصحاب المناصب في الدولة.[1]

المطلب الثّالث: القصبة كمقّر للحكم.

كان الداي يتخذ مقّره في أعلى مدينة الجزائر بضاحية تعرف بالجنينة، حيث إنتقل "عمر باشا" سنة1815م، إلى القصبة أيّ القلعة في أسفل المدينة على البحر ليكون في مأمن من الإضطرابات الّتي كثرت في ذلك العصر، ولقد تجمعت لدى الدايات ثروة ضخمة كانت تستمد من الهدايا الّتي يقدمها قناصل الدول الأجنبيّة، ومن نصيبه في غنائم البحر، ثم مايتلقاه من إتاوات نظير تعيين حكام الأقاليم والنواحي.[2]

لقد شهدت القصبة حدثا تاريخيا مهما يوم اول مارس 1817م، تمثل في انتقال المقر السياسي للمدينة من قصر الجنينة إلى القصبة، وقد ادرك الباشّا علي أنّ قصر جنينة معرض لأي هجوم داخلي يقوم به الجيش الإنكشاري فدبر أمر خروجه ليلا مع حاشيته ورجاله المقربين واخذ معه الموال العامة وعندما استيقظ الإنكشاريون في صباح ذلك اليوم، وقد ذهلوا من الحدث وغضبوا لفعله وهموا بالهجوم على القصبة لكنهم فوجئوا بتحصينها المحكم وبتوجيه المدافع الضخمة والكثيرة صوبهم إلى أنّ استسلموا لأمر الواقع وبذلك أصبحت القصبة المقر الجديد للحكام العثمانيين بالمدينة.[3]

---

[1] أحمد السليماني، "**تاريخ مدينة الجزائر**"، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص ص 23-24.

[2] صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 29.

[3] تاريخ وعمرآن الجزائر من خلال مخطوط البيوديقوليكس، تح، بدر الدين بلقاضي ومصطفى بن حموش، دار موفم للنشر، الجزائر،2007، ص243.

وقد ذكر الحاج أحمد الزّهار وقائع هذا التحول في مذكراته حيث يقول:{ ففي بعض الأيام خرج في موكب وذهب إلى القصبة؛ وأقام بها نحو ساعتين ورجع ولم يعرف أحد لأي امر طلع ثم أمر باشا طبيجي بأنّ يحمل مدافع ومهاريس للبونبة مع ما يلزمها من بارود وكور وبنوبة، وأتمّ تحصين القصبة وفي يوم من الأيام وكان يوم الجمعة بعث إلى شيخ البلد وأمره بأنّ يأمر أهل الصّنائع البلدية ولم يكن فيهم أحد من الأتّراك يأمرهم بأنّ يصلوا المغرب في جامع السيّدة الملاصق لدار الملك، ويبقون هناك إلى أنّ يأتيهم امرهم، ثم بعث إلى كبار القشلات بأنّ يغلقوا أبوابها بعد صلاة المغرب، وكان مراده الانتقال تلك الليلة إلى القصبة ولم يطلع أحد على ذلك وبقي الناس في المسجد ينتظرون ولم يعرفوا ما سيصنعون بهم، وأمر بإحضار 400 بغل وأدخلها دار الملك، وعندما أغلقوا دار باب الملك بعد المغرب أمر المماليك والعبيد والعسكر والخدام الّذين معهم أنّ يحملوا كلهم سلاح الذّهب ويتهيؤوا، وعندما تهيأوا أمرهم بعدما فتح الخزّنة أن يحملوا على 400 بغل ما بها من الذّهب، ففعلوا ما أمرهم وحملوا كل ذلك على البغال وحمل كذلك ما بها من بقية المال والسّلاح المحجر والأثاث الثمين وأوانية الذهب والفضة والفراش}.[1]

ويعدّ هذا التّحول تحولا سياسيا مهما حيث اعتمد الجيش الأهلي المكوّن من كراغلة وزوواة، بدلا من الجيش الإنكشاري وأشركه في الحكم وأحدث في ذلك تغيرا جذريّا في سير سياسة الملك الحربي، وكان هذا التّحول ليلة 27 ذو القعدة 1232هـ/17أكتوبر1817م.[2]

وقد كانت القصبة مقرا للحكم فقد قرر الداي علي باشا نقل الحكم إليها وتمّ ذلك بمساعدة بعض أهالي المدينة دون علم الإنكشارية الّذين غضبوا لفعله وهموا بالهجوم على

[1] أحمد الشريف الزهار، "**مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار1754-1830م**"، تح، أحمد توفيق المدني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص ص132-133.

[2] عبد الرحمان الجيلاني، المرجع السابق، ص328.

القصبة ففوجئوا بتحصينها المحكم وبتوجيه المدافع الضخمة نحوهم، فأستسلموا لأمر الواقع، وبذلك أصبحت القصبة مقرا للحكم الجديد للحكام العثمانيين بالجزائر.[1]

المبحث الثّاني: واقع النّشاط الحرفي في ظل الحكم العثماني بالقصبة.

كانت القصبة قبل مجيئ العثمانيين إلى الجزائر منطقة عظيمة في البحر الأبيض المتوسط وتشتهر بكنوز عديدة، مثل المساجد والعيون والزوايا والقصور وقد كان لهذه المنّطقة عادات وتقاليد قبل وبعد الفترة العثمانية، فقد عاشت مدينة القصبة مراحل عديدة في تاريخها.

المطلب الأوّل: العلاقة بين العثمانيين والحاكم (القصبة والبّاب العالي).

يعتبر الرّابط الديني أكبر قوة جمعت بين الإمبراطورية العثمانية والدول العربية التابعة لها بحكم أن السلطان هو حامي الحرمين وهو الحاكم العام لأكبر قوة إسلامية، رغمّ أنّ الدولة الجزائرية في نظامها كانت تابعة اسما للخلافة العثمانية، إلاّ أنّها كانت تحظى باستقلال اقتصادي وسياسي، فطريق الدايات للحكم كانت تتم بعد انتخاب أعضاء الديوان.

كانت العلاقة الجزائرية العثمانية تتمثل في الدفاع المشترك إذ نسجل هنا أنّ الباب العالي كان يزود الجزائر بما تحتاجه من مراكب ومدافع وعتاد حربي في مختلف المناسبات كما كانت تبعث بتعزيزات للقوات العسكرية في الجزائر، أمّا الجزائر فقد كانت تنجد الباب العالي بحريا. ففي السنوات الأخيرة من الحكم السيادي للجزائر (1671م/1830م) قدمت هذه الأخيرة نجدات للأسطول العثماني أكثر من خمس مرات كان آخرها 1827م، ولكن شاء القدر أنّ يحترق الأسطول ولم ينج منه إلا حوالي عشرة مراكب في معركة نافرين باليونان.[2]

[1] بدر الدين بلقاضي ومصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص243.

[2] ناصر الدين سعيدوني،" **ثلاث رسائل تتعلق بأوضاع الجزائر**"، مجلة التاريخ، 1979، ص49- 67.

المطلب الثّاني: الحياة الاقتصاديّة في مدينة القصبة.

لقد كانت الحياة الاقتصاديّة تتأثر بالأوضاع الداخليّة والخارجيّة للبلاد.[1] فقد كانت اقتصاديا مدينة الجزائر تقوم على القرصنة بالدرجة الأولى وما يدفع إليه هذا النشاط من تجارة العبيد المسيحيين وملأ أسواق المدينة ببضائع الغنائم.[2]

كما عرفت مدينة الجزائر العديد من المهن والصّناعات الّتي وإنّ لم ترتق إلى المستوى المعروف آنذاك بالبلاد الأوروبية إلاّ أنّها كانت تمثل نشاطا تقليديّا مهما يعتمد على المهارة اليدويّة المتوارثة ويهدف إلى سدّ الحاجيات الضروريّة للسكّان، وقد انتشرت أغلب المشاغل اليدوية والمهن التقليدية في أزقة عرفت بأسماء الصناعات التي احتضنتها.[3] وقد كان هذا النشاط موجها أساسا لسدّ حاجات السكان وتوفير متطلبات الجهاز الإداري، وكذلك المساهمة في التبادل مع الخارج للحصول على بعض المصنوعات الأوروبية لتدعيم قدرة الجزائر الحربية كالعتاد الحربي أو التي تتطلبها الصناعة المحلية بالجزائر كالمواد المعدنية.[4]

فقد كانت الأسواق التجارية بمدينة الجزائر تتركز في شارعين رئيسيين يمتّد الأوّل من باب عزون إلى باب الواد، والثّاني من وسط المدينة منحدرا نحو المرسى الكبير.

الشارع الأوّل وهو ما يسمى في أطلس براون الخاص بمخطط مدينة الجزائر 1575م، سوق الكبير فهو الذي يجمع بين باب الواد وباب عزون ويعتبر شارعا تجاريا، عرضه غير

[1] صالح فركوس، " **تاريخ الجزائر ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال1962**"، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، ص166.
[2] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص287.
[3] عبد الله بن متولي الشويهد،" **قانون أسواق مدينة الجزائر**"، تح: ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1427هـ/2006م، ص26.
[4] نفسه، ص34.

ثابت إذ يزداد ضيقا في نقاط تواجد الحوانيت، وهو يربط المدينة ببقية باقي النواحي ومنه تدخل المواد الأوّلية الّتي تستهلك مباشرة أو تحول إلى منتوجات.[1]

كما يضم سلسلة من الأسواق النشطة مثل سوق الكتان، وسوق الزيت وسوق الشمع، والفحم والحرّارية والخشب وسوق الحديد وسوق اللجامات وسوق الصّباغين وسوق اللوح ودار اللحم وسوق الخضارين.[2] إضافة إلى ذلك السوق الكبير وسوق الخراطين وسوق السّمارين وأخيرا سوق الرحبة في منفذ الساحة أين يمكث الباعة القادمين من خارج القصبة بعد اجتيازهم أسوار المدينة.

الشارع الثّاني كان يطلق عليه شارع البحرية أيام الأتّراك طريق باب الدزيرة وهو طريق ضيق ممثل في القسم الأيسر في شارع البحرية الحالي، ولعل أهمّ مبنى يقع على يساره هو الجامع الكبير. وتوجد به أيضا عدة أسواق لا تقل أهمية عن الأوّلى مثل سوق السمن، والقايصرية المخصصة لبيع الكتب وفيها يجتمع الخطاطون، وبجوار هذه الأسواق كانت تنتشر المقاهي والحمامات، كما يمكن من خلال مخطط 1830م، تمييز شارع ثالث بالقرب من باب الجديد يستمر إلى غاية شارع الأسواق وهو أطول شارع بمدينة الجزائر القديمة.[3]

وتعد القصبة من الآثار القديمة، وكانت تتكون في ذلك الوقت من بضعة منازل تحيط بجامعها والباقي كان خلاء يقعد فيه البربر والبرابرة أسواقهم في أيام معينة من الأسبوع، وتحمل هذه الأماكن أسماء خاصة مثل سوق الجمعة وهي السوق الّتي تعقد يوم الجمعة، وسوق السمن وهي الّتي تباع فيها الزبدة، وسوق الكتان وهي خاصة بالأقمشة، ومازالت هذه التسميات شائعة في مدينة الجزائر إلى يومنا الحالي.[4]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص71.

[2] نفسه.

[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص598.

[4] علي خلاصي، المرجع السابق، ص230.

المطلب الثّالث: الصناعات التي عرفتها مدينة القصبة.

إنّ أهمّ الصناعات الّتي كانت بيد الحكومة صناعة الأسلحة من مدافع وبنادق ومسدسات وبارود، وكانت هذه الأسلحة على اختلاف انواعها، تصنع في دار النحاس، أو في مصانع أصغر لمختلف الولايات. أما صناعة البارود فكانت في مختلف المدن والقرى الجزائرية ففي الجزائر مثلا كان هناك عدة مصانع لملح البارود منها مصنع باب الواد ومصنع الثغريين ومصنع قصر الداي.

بعد صناعة الأسلحة النارية نجد الأسلحة البيضاء مثل السيوف والخناجر والرماح التي غالبا ما كان بعضها يرافق السلاح الناري في المعركة.

إضافة إلى الأسلحة نجد صناعة السّفن لتعويض القطع التي تتعرض للغرق أو الحرق أو لتدعيم الأسطول الجزائري المتحارب ضد القوات الصليبية المتحاربة.

أمَّا صناعة الأقمشة والجلود والصباغة والبناء فقد كان الأندلسيون من أمهر الناس في صناعتها وإدارتها، وكان في الجزائر أيضا معامل تصنع الأقمشة المطرزة بالحرير التي تنال إعجاب الشرقيين وغيرهم من سكان الدول الأخرى.[1]

وقد كانت الجزائر من المدن الّتي اشتهرت بالصّناعات النّسيجية والصّناعات النّحاسية. واحتضنت مدينة الجزائر عدة صناعات أهمّها الصناعة البحرية والحدّادة والخياطة والحياكة وجاء في كتاب دوقرمون أنه في بداية القرن السابع عشر 180 سكاكني، و80 حداد وأكثر من 120 خياط و3000 نساج، و600 مربي لدودة القز.[2]

[1] علي خلاصي، المرجع السابق، ص104.

[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص549، ينظر: الملحق رقم 07، ص120.

المبحث الثّالث: نماذج عن النشاطات الحرفية الّتي اشتهرت بها مدينة القصبة.

إشتهرت مدينة القصبة بعدة نشاطات حرفية، زادت في إثراء طابع الثقافي والإجتماعي للمدينة، وجلبت إليها العديد من السكان، حيث أنّها كانت مقرا للحكم، خلال العهد العثماني، وحظيت مدينة القصبة بهذه المكانة من خلال الموقع الجغرافي والإستراتيجي وماحوّته من تنوع في النشاطات الحرفية حيث إن جل السكان يمارسون النشاطات الحرفية، ومع دخول العثمانيين إليها عززوا هذه النشاطات من خلال تشييد المصانع والورشات.

وفي هذا المبحث سنتطرق إلى نماذج عن هاته النشاطات الحرفية الّتي إشتهرت بمدينة القصبة.

المطلب الأوّل: صناعة البارود.

تعتبر صناعة البارود من الأقسام الرئيسية الملحقة بالفرق الخاصة بالمدفعية بالجزائر، حيث أن الدولة خصصت مصانع عمومية لتوفير هذه المادة الأوّلية، ولأهمّية مادة البارود، وكلفت الإدارة المركزية مجموعة عن الأسر، لتصنيع هذه المادة إلى جانب المصانع العمومية بمقتضى عقود مزاولة الحرفة بينهما.[1]

يقوم على صناعة البارود العديد من العمال، يتكونون عادة من:

أمين المصنع: وهو القائم على الإدارة داخل الورشات.

الوزّان: وهو المكلف بالمواد المعدة للطحن (الكبريت والفحم والملح).

العمال الفنيون: ومهمتهم تقتصر على تصفية الملح وحرق الحطب وطحنه وغربلته.

[1] علي خلاصي، المرجع السابق، ص ص 150، 209.

الحراس: وهم الّذين يقومون بحراسة المصنع والمخازن الخاصة بالبارود.[1]

يعود تاريخ دار البارود الموجود بالقصبة إلى بداية القصبة نفسها، وتفيد المعلومات بأنّه دمر مرتين، كانت المرة الأوّلى في سنة 1025هـ/1616م، في عهد الباشّا مصطفى(1616م-1617م)، وأعيد بناءه المرة الثّانية عام 1036هـ/1626م-1627م، من طرف الكراغلة في عهد الداي حسين خوجة (1626-1633م).

وأعيد بناءه سنة 1638م، عهد علي باشّا (1637م-1639م)، وأستمر العمل به إلى غاية 1815م، وهو تاريخ بناء مصنع جديد بباب الواد، وقد سجل لنا رزوى وصفا دقيقا حول هذا المصنع فيقول:

مصنع البارود الخاص بالدّاي عبارة عن بناء واسع يتكون من عدة قاعات مقببة آية في الجمال تحتوي كلها على ورشات مجهزة بالمعدات الخاصة بتحضير البارود غاية في الروعة.

وأمَّا المطحنة المخصصة لخلط المواد فهي شبيهة تماما بتلك الّتي تستعملها في برغونيا عاصمة مقاطعة المارن لعصر زيت الزيتون وهي عبارة عن مسحق عمودي يدور حول محور عمودي أيضا في وعاء دائري، والمسحق مصنوع من الخشب وقاعدة الإناء مغطاة بصفائح من معدن النّحاس.[2]

وبما أنّ مصنع القصبة قريب من المدينة وما يشكله من خطورة عليها قرر علي باشا وبتكليف منه إلى القنصل السودي شولتز، بناء مصنع جديد بباب الواد، يربط من برج باب وبرج الإنجليز بالقرب من جنان الآغا نصب على مدخل هذا المصنع لوح من الرخام عليه كتابة تاريخية تحمل تاريخ الإنشاء كتبت بخط جميل وهي الآن مثبتة على الجدار الشمالي

[1] مختار حساني وآخرون، "**التاريخ العسكري للجزائر (من الفتح الإسلامي إلى القرن 16م)**"، المؤسسة االوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص273.

[2] لخضر درياس، المرجع السابق، ص58.

الشرقي بقصر الداي بالطابق الأرضي جنوب شرق قاعات الديوان، على لوح من الرخام يبلغ طوله1،30 م، أما ارتفاعه 0،56 م.[1]

إلى جانب المصانع العمومية التابعة للسلطة المركزية، عرفت الجزائر انتشارا واسعا للورشات المحلية وخاصة في الشرق مثل مدينة القبائل وقسنطينة التي كان بها مصنع يعمل به 20 عاملا، كما عرف الغرب الجزائري العديد من الورشات الخاصة بتصفية الملح، وامتدت صناعة البارود حتى المدن الصحراوية حيث أنّ مدينة بسكرة احتوت على ورشات صناعة وورشات صناعة البارود في كل من خنقة سيدي ناجي وواحات الزيبان.[2]

ويمكن القول أن الإدارة المركزية لم تقتصر على المصانع العمومية لتوفيرها لهذه المادة فكان لزاما عليها الاعتماد على الورشات التي تديرها الأسر المتخصصة في هذا المجال.

[1] علي خلاصي، المرجع السابق، ص224، 225.

[2] لخضر درياس، المرجع السابق، ص176.

المطلب الثاني: صناعة المدافع.

من بين النشاطات الحرفية الّتي إشتهرت بها القصبة صناعة المدافع، حيث عرفت صناعة المدافع إستعمالا مكثفا في عهد الدولة العثمانية، ولذلك شيدوا المصانع وجلبوا العمال للسهر على توفير هذه الصناعة ولحماية المدينة من أي إعتداء عدواني مباغت.

وقد إشتهرت عدة مصانع تقوم على صناعة المدافع وفي هذا المطلب سنقف عند هذه الصناعة الّتي إشتهرت بها مدينة القصبة ولنتعرف على أهمّ ماجاء فيها.

عرفت إيالة الجزائر في العهد العثماني نشاطا صناعيا مزدهرا غطى جل المجالات الإقتصادية المختلفة، ولعل من بين هذه القطاعات قطاع الصناعة الحربية الّذي ظل مزدهرا إلى أواخر الفترة العثمانية، نظرا لتوفر الخبرات الفنية خاصة منها الجالية الأندلسية، الّتي إستقرت بالإيّالة، ثم توفر المواد الخامّ الأوليّة لمثل هذه الصّناعات من جهة أخرى.[1]

يقوم على صناعة المدافع العديد على التقنيين والعمال والصناع نذكر منهم:

المعلم: وهو المسؤول الأوّل على الصناعة وعلى لجنة الاختبار والتفتيش في الدافع.

وكيل الخرج: المقتصد الّذي يستلم المدافع الجاهزة.

الباش الطبجي: وهو قائد المدفعيين والمسؤول على السباكين والعمال.

مجموعة السباكين: وهم المكلفون بصب المعدن وتهيئة القوالب.

مجموعة الخّراطين: وهم المكلفين بصقل المدافع وصناعة القنابل والقذائف والقواعد المعدنية والعجلات.

مجموعة النّجارين: يقومون بصناعة الأسرة للمدافع.[2]

[1] لخضر درياس، المرجع السابق، ص 56.

[2] علي خلاصي، المرجع السابق، ص ص 148-149.

أمّا أهمّ المصانع المخصصة لصناعة المدافع دار النّحاس أو المسبكة.[1]

وتقع هذه العمارة بالقرب من باب الواد في الحي الذي كان يدعى ببئر الزنق، لكن شاع استعمال النحاس بين المواطنين على هذه العمارة، لأنّ المدافع كانت تصب هناك أغلبها من البرنز.[2]

كانت المسبكة تمتد إلى 30 مترا طولا كما كانت شديدة العلو تنتهي ببرج، وتحتوي على فرن واحد لكنه شيد بطريقة جيدة، أمّا القالب المعد لاستقبال الصاهرة فقد نصب بخندق مقابل للفتحة التي تسكب منها الحمم، وقد نصب ملفاف فوقها يستعمل فوقها لرفع الكتلة الضخمة بعد أنّ كانت قطعا صغيرة، تم إذابتها في فرن مبني من قطع مبني من الآجر.[3]

أمّا في الجهة المقابلة في هذا النهج الذي تقع فيه دار النحاس، تتمركز فيه العديد من الورشات الخاصة بالقوالب وصناعة الذخيرة، ولوازم المدافع من أسرة وقنابل مختلفة مصنوعة من الحديد والبرنز.[4]يضاف إلى ذلك عمل الفنيين الذين يقومون بزخرفة المدافع والأوعية التي تقع فيها الخراطيش.[5]

وكانت النقوش التي تحملها المدافع الجزائرية عبارة عن زخارف لبعض الأشجار والنباتات، كما كانت تحمل فوهاتها أدعية وأهلة وكذلك اسم السلطان والباشا الذين تم في عهدهما صناعة المدفعة.[6]

[1] خليفة حماش، المرجع السابق، ص131.
[2] لخضر درياس، المرجع السابق، ص75.
[3] علي خلاصي، المرجع السابق، ص204.
[4] لخضر درياس، المرجع السابق، ص80.
[5] علي خلاصي، المرجع السابق، ص205.
[6] خليفة حماش، المرجع السابق، ص131.

ومن أهمّ المدافع الّتي كان لها صدى كبير في تاريخ الجزائر والّتي حافظت على مكانتها إلى أواخر العهد العثماني مدفع بابا مرزوق.[1] إلى جانب مدفع بابا مرزوق نجد مدفع أحمد باي.[2]

المطلب الثّالث: صناعة السفن.

عرفت الجزائر في العهد العثماني نشاطا صناعيا شمل أغلب المهن التقليديّة والحرف اليدويّة.

وقد إشتهرت مدينة القصبة بصناعة السفن، حيث كان يتمثّل أهمّ صناعة في ذلك الوقت لإرتباطها بالنشاط البحري الجزائري وقد مورست هذه الصّناعة في عدة مناطق من أرجاء المدينة.

فبالنسبة لصّناعة السفن أوكل إلى القرصان الفلاماندي سيمون دنساSimon Dansa، الإشراف على صناعة السّفن المستديرة أثناء إقامته بالجزائر في القرن السّابع عشر، ثم أصبحت صناعة السّفن بعد ذلك من اختصاص المتعاونين المالطيين والفرنسيين والإسبان دون غيرهم كالمهندس المالطي الّذي استخدمه البايلك في القرن الثّامن عشر في بناء السّفن بعد تملصه من خدمة الفرنسيين في طولون وتفضيله الإقامة بالجزائر، والمهندس الفرنسي جوفراي Geoffray، الّذي وضعته حكومة الثورة الفرنسية عام 1798م، في خدمة الدّاي بابا حسن لعلاقته الوّثيقة بها، والمهندس الإسباني مايستروا أنتونيو(Mastro Antonio)، الّذي أوكل له التّصرف في التّرسانة البحرية للجزائر عام 1830م، والذي تمكن من صنع فرقاطنين للبحرية الجزائرية، والمهندس المرسيلي غازال(Gazel)، الّذي لم يطل عمله بالترسّانة الجزائرية إذ مات في السنة الثّانية من تعاقده 1815، وقد أدّى هذا الاعتماد على الخبرة الأجنبية إلى عجز

[1] مختار حساني وآخرون، المرجع السابق، ص276.

[2] محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص15.

الجزائريين عن صنع السفن الكبيرة، ولم يعودوا قادرين إلا على بناء سفن صغيرة، لا تتعدى حمولتها ثلاثمئة طن وهي سفن لا تتطلب المهارة والخبرة وتكتفي باستخدام الأخشاب المحلية الّتي تشحن من ميناء بجاية إلى مرسى الجزائر.[1]

أمّا فيما يخص صناعة السفن اهتمت طائفة الريّاس بهذه الصّناعة منذ عهد خير الدين باشا الّذي قام بتدريب مجموعة من الشباب في مصنع لصناعة السّفن بإسطنبول فتم إرسال 300 منهم عين بعضهم للتّعلم والتّدرب على هذه الصّناعة هناك، وعلى هذا النحو تم إنشاء التّرسانة البحرية في بداية الثّلث الثّاني من القرن السّادس عشر.[2]

وأصبحت مدينة الجزائر تتوفر على أحواض لصناعة السفن مكنتها من صنع الغليوطات ذات الـ 22 مقعدا، للتجديف وبمرو الزمن أصبحت المراكب والزّوارق وأنواع أخرى من السّفن تصنع في عدد من المراسي الجزائرية في الجزائر مثلا كانت المراكب الكبيرة تصنع على ساحل باب الوادي، في حين تصنع السفن الأقل حجما على ساحل باب عزون.[3]

وكانت دار الجزائر تتلقى المواد الأوليّة من خشب البلوط والصنوبر لصناعة السّفن وتجهيزها.[4]والتي كانت تنتقل من نواحي شرشال وغابات القل.[5]وكان ذلك يتم تحت إشراف وكيل الخرج.[6]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص65.

[2] خير الدين بربروس،" **مذكرات خير الدين بربروس**"، تر محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر،2010، ص212.

[3] عائشة غطاس وآخرون،" **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**"، منشورات المركز الوطني للبحوث ، 2007، ص99.

[4] أرزقي شويتام،" **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي (1519م/1830م)**"، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان، 2010، ص47-48.

[5] عائشة غطاس وآخرون،" **الدولة الجزائرية الحديثة** ..."، المرجع السابق، ص100.

[6] ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص45.

وقد عرف ميناء الجزائر بتنظيم محكم في صناعة السّفن خاصة على عهد خير الدين حيث وحدت به ورشات لصناعة الحبال والأشرعة وكذا مخازن الأخشاب الخاصة لصناعة المراكب والسفن الحربية.[1]

أمّا بخصوص السفن الّتي كانت مستعملة في الجزائر والّتي كان أغلبها شائع الاستعمال في البحرية العثمانية أهمّها:

*الغليرة أو الفادرغة (GALERE) وتسمى أيضا بسفن الشيني.

* الغليوطة، وهي من صنع محلي، وتحتوي25 مصطبة، وتحمل 20 مدفعا، وعدد بحارتها لا يتجاوز 30 رجلا،[2]

الفرقاطة، وهي مركب حربي يحتوي على 16 مقعد تجديف.

الشبّاك، ويسير بالمجاديف والأشّرعة معا، ويقدر على حمل 12 إلى 30 مدفعا، وحمولته، ما بين 150إلى 200 طن، يركبه ما بين 30 و200 بحارا.[3]

وتوجد أنواع أخرى إلى جانب السّفن والمراكب السابقة الذكر البركانطي، البولاكر، البريك، الحراقة، الشطية، اللنجور، الفلوكة...إلخ.[4]

[1] أرزقي شويتام، "**دراسات ووثائق...**"، المرجع السابق، ص49.

[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص321.

[3] يحي بوعزيز، " **الموجز في تاريخ الجزائر**"، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص170.

[4] وحيد خينش، "**المؤسسات في الجزائر أواخرالعهد العثماني . الجيش إنموذجا .** "، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر،(غير منشورة)، إشراف، الأمير بوغدادة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015/2014، ص106.

الخلاصة

كانت الجزائر في العهد العثماني سوق رائجة للمصنوعات الأوروبية المختلفة زيادة على أنّها كانت مصدرا مهما لاستخراج الموارد الأوّلية وتسويقها للبلدان الأوروبية بأرخص الأثمان ولهذا تنافست الدول الأوروبية في ما بينها لاكتساب ودّ الدّايات والبّايات وذلك لتّسهيل العمليات التّجارية.[1]

وقد كان النشاط الحرفي يمارس في مختلف الإيالة، وقد كان أصحابها ينظمون هيئات تتولى كل واحدة صناعة نوع محددة من الأدوات والملابس التي يحتاج إليها السكان في حياتهم اليومية.[2]

هذه لمحة تاريخية قبيل الاحتلال الفرنسي وكيف كان النشاط الحرفي. فمنذ دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر أدرك للوهلة الأوّلى اهمية الأرض والنشاطات الحرفية الّتي يمارسها السكان وكونها مصدر رزق لهم لذلك سعى جاهدا على إصدار مجموعة من القوانين والمراسيم والأمريات الّتي أدت إلى سلب ونهب أقوات الشعب رغم تعهده باحترام ممتلكات السكان، مما خلف آثارا رجعت بالسلب عليهم وعلى نشاطاتهم اليومية سواء كانت من الناحية الزراعيّة أو التجاريّة أو الصناعيّة الّتي أدّت إلى تقّهقر حياتهم الاجتماعيّة والاقتصاديّة.

[1] الغالي غربي وآخرون،" **العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والأبعاد**"، دار هومة، الجزائر،2007، ص36.

[2] محمد العربي الزبيري،" **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**"، المرجع السابق، ص61.

الخاتمة

بعد عرضنا لموضوع النشاط الحرفي في الجزائر خلال القرون من القرن 17م إلى القرن 19م، توصلّنا لمجموعة من الاستنتاجات نوجزها في النّقاط التالية:

– إنّ الحرفة هي مهنة تتطلب نوعا خاصا من العمّالة الماهرة مع إستعمال القدرات الإبداعية الّتي يتمتع بها الحرفي.

– أنّ مصطلح الصّناعة أو الصّنعة والحرفة كلها مصطلحات ذات مغزى واحد تقوم على نشاط يدوي.

– وجود أوضاع سياسيّة وإجتماعيّة وإقتصاديّة عقب دخول العثمانيين للجزائر والّتي بيّنت أحوال السكان الّتي كانوا يعيشونها وأهمّ النشاطات الّتي كانوا يمارسونها.

– أثرّ دخول العثمانيين على سكان الجزائر حيث أتوا بعاداتهم وتقاليدهم وأدخلوها على السكان الأصليين.

– كانت بعض هجرات الأندلسيين على الجزائر ذات أثر بالغ، والتي عززت في البناء الإجتماعي للسكان.

– تحتوي البنية الاجتماعية لدى سكان الجزائر على خليط من الأجناس والأعراق بيّن مدى ترابط وإنسجام سكانها، فسكان المدن في الجزائر يتكونون من الأقليات العرقية وهي الأقلية التركية، وجماعة الكراغلة، وطبقة الحضر، وجماعة البرانية، والدخلاء، وسكان الأرياف يمثلون الأغلبية الساحقة وينقسمون إلى عنصرين أساسيين هما العرب والأمازيغ، وكل مجموعة قائمة على أساس قبلي أو لغوي خاضعة لزعمائها.

– كل من سكان المدن والأرياف يمارسون نشاطات حرفية متنوعة زادت من إزدهار وتنوع الحياة الإحتماعية والثقافية في الجزائر.

– تميز الوضع الإجتماعي في المدن والأرياف بعدة خصائص تكمن في قلة السكان الحواضر بنسبة لسكان الأرياف وكيفية توزيعهم والتركيبات الهرمونية للطبقات الاجتماعية وعلاقاتهم مع

الحكام، والأوضاع الاجتماعية التي كانت تعتمد عليها الجزائر في ذلك الوقت من خلال القوة العسكرية والمالية، والحد من التنقلات السكانية، وميل أغلب السكان للزراعة للإسقرار.

– إرتكز سكان المدن والأرياف على النشاطات الزراعية والصناعية والفلاحية.

– أنّ النشاطات الحرفية إضافة إلى كونها تشكل موردا لعيش شريحة مهمة وواسعة من سكان الجزائر، فهي كذلك مرآة تعكس حضارة أمة وأصالة شعب.

– إنّ شسّاعة الجزائر وتنوع جغرافيتها (الصحراء، الجبال، السهول...) يشكل مصدر ثراء لسكانها، بل وحتى القادمين إليها وينعكس ذلك في زيادة تنوع نشاطاتها الحرفية.

– أنّ الصّناعات التقليديّة والنشاطات الحرفية لم تعد موروثا حضاريا وتراثا ثقافيا تتناقله الأجيال فحسب، بل أصبح مكسبا حيويا مهما لدى الحكام، وهذا مارأيناه في الموضوع من خلال التأثيرات والضرائب التي فرضتها الدولة العثمانية على أصحاب الحرف.

– ومن الملامح الّتي تبدو بارزة في التنظيم الحرفي الدقة في تقسيم العمل في الجماعة الواحدة في التنظيمات الحرفية التي عنيت بالخدمات بوجه خاص.

– إن إهتمام الحكام العثمانيين بالنشاط الحرفي منذ بداية وجودهم في الجزائر يعود إلى إدراكهم لأهمية هذا القطاع في تعزيز حكمهم وإخضاع السكان لطاعتهم وهذا ما يؤكد ذلك التنظيم الذي طبقوه في تحديد طبيعة ملكية الأراضي الزراعية وطريقة توزيعها وأساليب إستغلالها والنظام المتبع في جمع الضرائب.

– أن توريث الحرفة في الأسرة الواحدة ، لم يكن ثابتا بل تميزت الإختيارات الحرفية في الأسرة الواحدة، على غرار أسر أخرى نجدها قد توارثت الحرفة أو الصنعة أبا عن جد، وتولت أمانة الصنعة.

– أن النشاط الحرفي في الجزائر يعاني من عدة مشاكل ومعيقات حازت بينه وبين تطوره ومع سعي الجزائر جاهدة خاصة في السنوات الأخيرة على التركيز إلى توفير مختلف أشكال الدعم والشروط التي من شأنها أن تساعد على النهوض بالنسيج الصناعي الحرفي.

– إن مدينة القصبة من بين المدن الجزائرية التي إرتكز فيها العثمانيون إذ كانت تحتل مكانة إستراتيجية وقد قسمت إلى قسمين: القسم السفلي منها كان فيه مقر الحكم أما القسم العلوي والتي تبدأ من أولى المنحدرات إلى غاية قصر الداي وقد حافظ هذا القسم على اصالته التي تسمح لنا تصور الجزائلر خلال العهد العثماني.

– أن سكان القصبة عرفوا العديد من المهن والصناعات تمثل في النشاط التقليدي حيث يعتمد عليه أصحاب الحرف، ويهدف لسد الحاجات الضرورية للسكان، كما إشتهرت بالقصبة عدة أسواق يبيعون فيها نشاطاتهم الحرفية.

– لقد عرفت مدينة القصبة مجموعة من الصناعات التي كانت بيد الحاكم وقد إشتهرت بصناعة الأسلحة والسفن والأقمشة والجلود والدباغة والصناعات النسيجية والنحاسية والفخارية.

– إشتهرت مدينة القصبة بصناعة البارود وخصصت مصانع عمومية لتوفير هذه المادة ، كما إشتهرت عدة مصانع الخاصة بالبارود ويعود أصحاب هذه المصانع إلى الحكام الرئيسيين في ذلك الوقت في العهد العثماني، ولكن مقابل تلك المصانع خاصة مصانع البارود كانت هناك عائلات تمارس هذه الصنعة في ورشات صغيرة، كنشاط حرفي تكسب به لقمة العيش وكانت الإدارة المركزية، تعتمد أيضا على هذه الورشات لصناعة البارود.

– وكانت المدافع أيضا ضمن النشاطات الحرفية، التي إشتهرت في القصبة، حيث كانت تقوم على مجموعة من التقنيين والعمال وكانت هناك مصانع مخصصة لصناعة المدافع، وإشتهرت عدة مدافع في تلك الفترة منها مدفع بابا مرزوق وأحمد باي.

– إشتهرت صناعة السفن في القرن 17م، على يد القرصان الغلاماندي سيمون دنسا حيث أشرف على صناعة السفن المستديرة وقد إهتمت طائفة الرياس بهذه الصناعة، وأصبحت مدينة الجزائر تتوفر على أحواض لصناعة السفن، وعرف ميناء الجزائر تنظيما محكما لصناعة السفن وإشتهرت عدة سفن منها: الغيلوطة، الفرقاطة، الشباك، البركانطي...

وفي الأخير، نسأل الله العظيم أن نكون قد وفقنا في الإجابة على الإشكاليات التي طرحناها سابقا، وأن يكون هذا البحث نافعا ومفيدا لزملائنا الطلبة، وللباحثين شاكرين لهم أي

نقد أو ملاحظة، ونتمنى أن يكون هذا البحث فاتحة دراسات ذات بعد أوسع حول الموضوع لإعادة النظر في المغالطات التاريخية، إذ إن هذا مايزيد من قيمة البحث التاريخي، فنتمنى من المولى عز وجل السداد والتوفيق.

الملاحق

الملحق رقم 01: قاموس الحرف[1]

البابوجي : صانع الأحذية المصنوعة من النعل الأصفر وبائعها

البجاقجي : السكاكيني :صانع السكاكين وبائعها.

البحار : من يشتغل بالفلاحة بالفحص.

البرادعي : صانع البرادع أو الرحال .

البراملي : البراميلي ،صانع البراميل .

البشماقجي : صانع حذاء البشماق وبائعه

البلاغجي : صانع البلغ (ج بلغة) وبائعها

التماق: صانع الحذاء الرجالي الطويل وبائعه .

الجقماقجي : صانع الأسلحة وبائعها.

الجواج : بائع البيض والدجاج .

الحجام : الحلاق والمزين والمصاص

الحرار : ناسج الحرير وبائعه .

الحائك : ناسج الصوف وبائعها.

الحجار : قاطع الحجر .

الحصار : مظفر الحصائر وبائعها.

الحلاطجي : المُطرّز على الجلد

الحفاف : الحلاق

الحلفاجي : صانع أدوات شتى من مادة الحلفاء وبائعها

الحلواجي : صانع الحلويات وبائعها

الحمّار : بائع الدواب ومؤجرها

الحمال : حامل البضائع

الحوات : بائع السمك

[1] عائشة غطاس، " **الحرف والحرفيون**..."، ص ص499-500.

الحمايمي : اسم معلم الحمام (من له النظارة على الحمامات)

الخرّاط : اسم لمن يخرط العودأو الخشب .

الدباغ : بائع الجلود المدبوغة.

الدخاخني : بائع الدخان

السكاكري : بائع السكر.

السمان : بائع السمن والزبدة والعسل .

السفاج : صانع الفطائر المقلية .

الشماع : صانع الشمع وبائعه

الشواشي :صانع لباس الرأس الشاشية أو القلنوسة

الصباولجي :صانع خيط القنب .

الصفار :صانع الأواني النحاسية .

العطار : بائع العطر ومواد أخرى من سكر وأرز وغيرها.

الفرّان : العامل في الأفران .

الفكاه : الفاكهاني ، بائع الفواكه .

القنداقجي :صانع الخشب الموجه لصناعة الأسلحة "القنداق"

القوقجي : القاوقجي ، صانع القلنوسة الطويلة وبائعها.

المقفولجي : الاسكافي .

المقايسي : صانع الحلي من مادة القرن .

الملحق رقم 02:

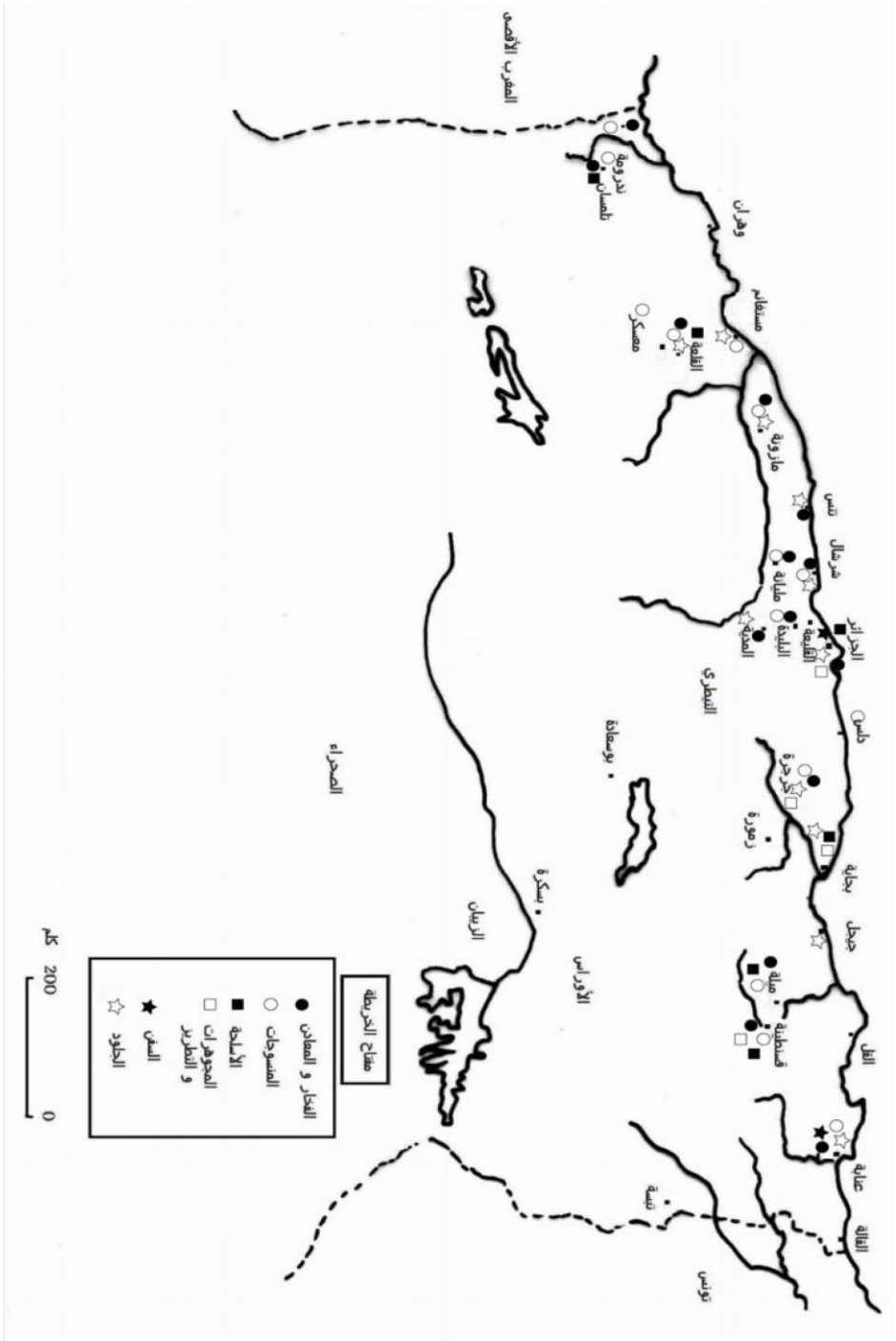

خريطة توضيحية لأهم الحرف في الجزائر[1].

[1] شريفة طيان، المرجع السابق، ص65.

الملحق رقم 03: قطارة من النحاس الأحمر من مدينة قسنطينة

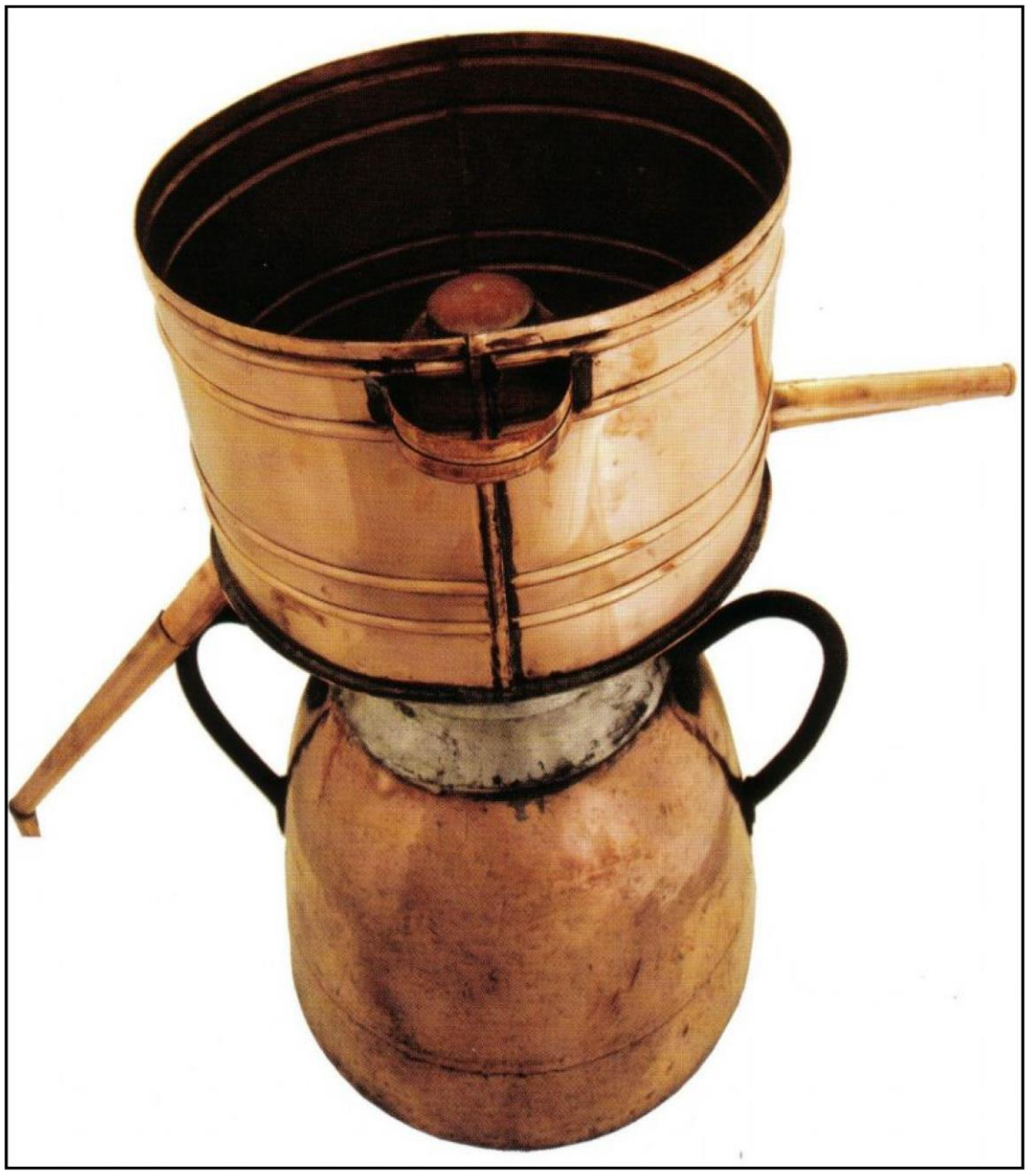

محفوظة بالمتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية - الجزائر-[1].

[1] شريفة طيان، المرجع السابق، ص80.

الملحق رقم 04: طبق كسكسى كبير الحجم خاص بالولائم

محفوظ بالمتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية – الجزائر-[1].

الملحق رقم 05: نماذج من انتقال الحرفة الواحدة من الآباء إلى الأبناء:

[1] شريفة طيان، المرجع السابق، ص117.

- علي الدباغ بن قاسم الدباغ بن علي بن حمادوش.
- أوسطهم محمد الصباغ بن الحاج محمد بن الصباغ عرف بالسوردو.
- محمد البحار بن محمد أمين البحارين التدلسي.
- محمد الإنجشياري الطبجي القزاز بن خليل الإنجشياري القزاز.
- محمد العربي المقايسي بن أحمد المقايسي.
- دحمان القزاز بن محمد القزاز.
- محمد الجاقماقجي بن يوسف الجاقماقجي.
- الحاج أحمد الخياط بن محمد الخياط.
- الحاج أحمد الدباغ بن الحاج محمد الدباغ.
- محمد الكواش بن الحاج علي الكواش بن عبد الرحمان الزموري.
- أوسطه أحمد القزازين أوسطه أحمد القزاز.
- محمد الكواش بن قاسم الكواش.
- حميد الطبيب بن محمد الطبيب.
- أحمد أمين جماعة الجيارين في التاريخ بن أحمد أمين جماعة الجيارين كان.[1]

نماذج من حالات الأبناء الذين اختاروا لأنفسهم حرفا من غير حرف آبائهم:

[1] خليفة حماش، المرجع السابق، ص38.

محمد الخياط بن الحاج أحمد المقفولوجي.

الحاج علي العطار بن الحاج علي محمد السمان.

الحاج محمد الحوات بن الحاج محمد الحرار.

محمد الحجار بن أحمد البناء.

محمد السراج بن محمد الجيار.

الحاج احمد العطار بن محمد الحرار.

مصطفى السمار بن أحمد الخياط.

قاسم المقفولوجي بن المعلم أحمد الحرار.

الحاج علي العطار بن أحمد الفخار.

عبد الرحمان العطار بن أوسطه محمد الطبيب.

محمد الحرار بن الحاج محمد الكواش.

احمد المقايسي بن الحاج سليمان الحفاف.

محمود الإنجشايري الجقماقجي بن إبراهيم الحفاف منزول آغا.

محمد الحفاف بن علي الحوات.

محمد الجيار بن المقايسي أحمد الحفاف بن مصطفى الطبيب.

العربي الحرار بن احمد الدلال.[1]

[1] خليفة حماش، المرجع السابق، ص40.

وتلك الأسر لم يجتمع أبناؤها على حرفة واحدة وإنما كانوا موزعين على حرف متعددة.

نماذج من العائلات الحرفية في الجزائر في العهد العثماني:

توارث النشاط الحرفي أبا عن جد عبر سنوات مديدة أشهرها:

عائلة بوعينين: وصنعة الحرارة1770م/1826م:

امتهنت هذه العائلة صنعة الحرارة وتعود أول إشارة إلى الوالد أبو محمد بوعينين به يعرف إلى عام 1770م، حينما حضر شاهدا في إثبات ملكية عقارية لأحد الحرفيين رفقة عدد من الحراريين، وبعد نحو ربع قرن تولى ابنه محمد أمانة جماعة الحراريين في حدود عام 1793م، وتصدر لما يربو 25سنة، أما ابنه الثاني الحاج علي حرار فقد أسندت إليه بعد أخيه في الفترة ما بين 1820م-1826م.

وصنعة الحرارة من الصنائع المعتبرة والمربحة لذا حرصت بعض الأسر على إحتكار الحرفة والأمانة معا حتى تحول دون أي منافسة ويمكن القول إن عائلة بوعينين توارثت أمانة جماعة والحرفة لأزيد من 50سنة.

عائلة المليح وحرفة العطارة:

إن أول اسم للعائلة هو الحاج إبراهيم بن المليح العطار الذي كان يملك حانوت لبيع العطرية في سوق العطارين عام 1709م، وظلت عائلة بن المليح تتعاطى حرفة العطارة لما يربو 100سنة.

عائلة البربري وصنعة القزازة:

تعد عائلة البربري إحدى أبرز العائلات التجارية في مجتمع مدينة الجزائر وتعاطت صنعة القزازة وتوارثتها، فمن بين السماء نجد عبد القادر القزاز بن محمد البربري، وحسن القزاز بن أحمد الخياط 1220هـ، وأحمد القزاز بن أحمد، كما احترفت عائلة البربري الخياطة أيضا وهي صنعة قريبة جدا من القزازة فقد اختارت عائلة البربري الخياطة والقزازة وهي صنائع متكاملة، كما اختارت التجارة وبيع السكر حيث نجد علي حسن السكاكري بن أحمد البربري، بل وتعاطى أفراد عائلة البربر صنائع بعيدة جدا عن مجال احتكارهم أو تخصصهم فهذا أحمد المقايسي بن الحاج محمد البربري.[1]

[1] عائشة غطاس، " **الحرف والحرفيون**..."، ص ص 161،160.

الملحق رقم 06:

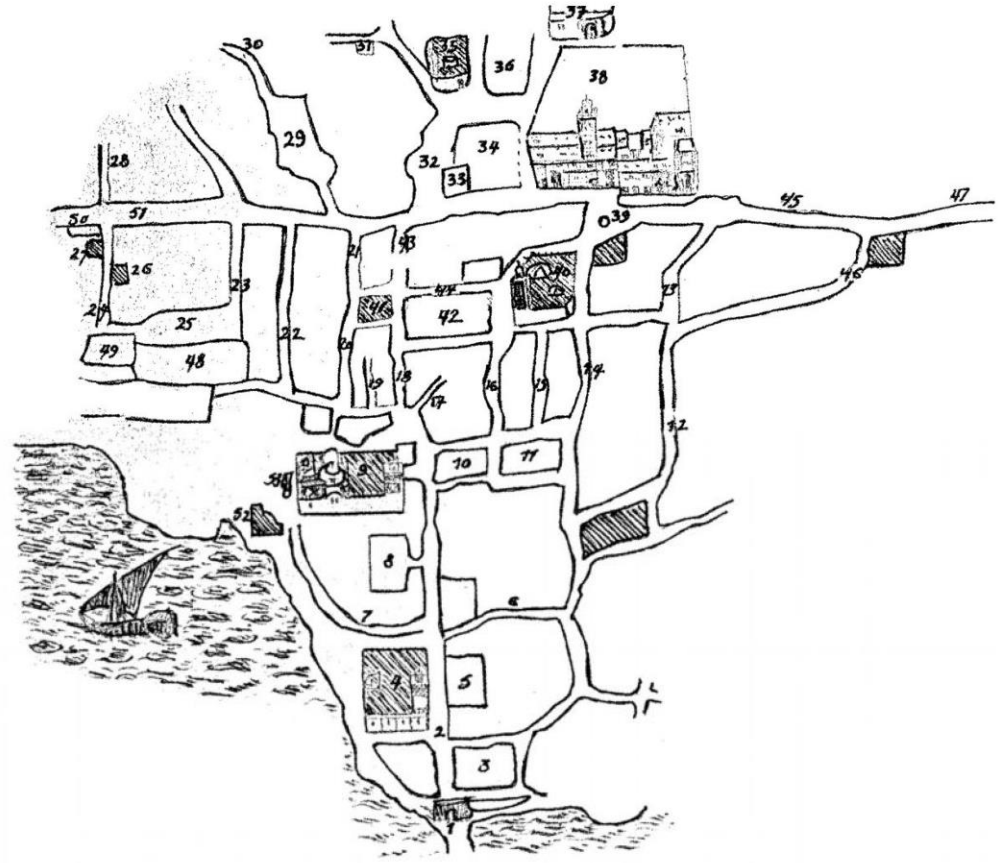

1- باب الدزيرة
2- طريق باب الدزيرة
3- فندق الديوانة
4- الجامع الكبير
5- زاوية
6- طريق عرباجي
7- قاع السور
8- فندق القهوة الكبيرة
9- الجامع الجديد
10- القهوة الكبيرة
11- بادستان
12- زنقة بوجي
13- زنقة عنقني
14- زنقة الرصايصية
15- زنقة الفراغية(صانعي الأقفال)
16- زنقة باشماقي(الإسكافيين)
17- زنقة الذهابة
18- زنقة الصاغة
19- زنقة النحاس
20- زنقة المقايسية
21- زنقة الصباغين
22- سوق اللوح
23- ممر يوبا(طريق غير نافذ)
24- زنقة البقورنين
25- سوق الزيت
26- جامع فندق الزيت
27- جامع السوق الكبير
28- ساباط اللوح
29- سوق الجديد
30- سوق السمن
31- دار زكاجي قديمة(سجن)
32- ساحة القوافل
33- دار السكة
34- دار عزيزة
35- جامع كتشاوة
36- دار حسن باشا
37- دار مصطفى باشا
38- دار الداي
39- ساحة ونافورة
40- جامع السيدة
41- مسجد قيسارية
42- مسيد قيسارية
43- زنقة القيسارية
44- سوق الغزل
45- البلاغجية (سوق الجلود)
46- زنقة الشماعين
47- فندق السمكاوي
48- ثكنة بوصا (هدمت سنة 1862)
49- حمامات يهودية
50- دار اللحم (قصابة يهودية)
51- سوق الكبير
52- جامع الربطة
53- باب البحر
مباني دينية

خريطة توضيحية لأسواق مدينة الجزائر[1]

[1] شريفة طيان، المرجع السابق، ص35.

ببليوغرافيا البحث

المصادر والمراجع باللّغة العربيّة والأجنبية

أولا: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

ثانيا: المصادر

أ. باللّغة العربيّة:

1. أحمد الشريف الزهار، "**مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار1754-1830م**"، تح، أحمد توفيق المدني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

2. حمدان خوجة، "**المرآة**"، تح، محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.

3. خير الدين بربروس،" **مذكرات خير الدين بربروس**"، تر محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر،2010.

4. عبد الرحمان ابن خلدون، "**المقدمة**"، مر: سهيل زكار، (د ط)، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001م.

5. عبد الله بن متولي الشويهد،" **قانون أسواق مدينة الجزائر**"، تح: ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1427هـ/2006م.

6. علي الجرجاني، "**معجم التعريفات**"، تح: محمد صديق المنشاوي، (د ط)، دار الفضيلة، القاهرة،(د س).

7. مبارك بن محمد الميلي، "**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**"، تق وتص: محمد الميلي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د س).

8. محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي، لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ط3 ، دار صادر، بيروت، 2010.

9. وليام شالر، قنصل أمريكي في الجزائر (1816-1824)، تق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

ب. باللّغة الأجنبية:

10. CH. Ferand:" L' EXPLOITATION DE LA KARASTA", IN R,A,N, ALGER1868.

11. C.A.Julien: histoire de l'Algérie colonisation1827- 1871, P.U. F PARIS, 1964.

12. LABOURDETTE Jean- Paul Martin Mari- HéLéne Algerie 4eme edition Le Petit Futé paris 2009.

ثالثًا: المراجع

أ. باللّغة العربيّة

13. أبو القاسم سعد الله، " **محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال**"، ط2، الجزائر، 1976.

14. أحمد السليماني، "**تاريخ مدينة الجزائر**"، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

15. أرزقي شويتام، "**المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني**"، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009.

16. أرزقي شويتام،" **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي (1519م/1830م)**"، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان، 2010.

17. الأمانة العامة للحكومة، الأمر رقم01-96، المؤرخ في 10جانفي1996، الجريدة الرسمية، رقم3، الجزائر، الصادرة في1996/01/14.

18. تاريخ وعمرآن الجزائر من خلال مخطوط البيوديقوليكس، تح، بدر الدين بلقاضي ومصطفى بن حموش، دار موفم للنشر، الجزائر ،2007.

19. ثريا فاروقي وآخرون، "**التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية**"، تح، خليل إيتا لوجيك ودونا لدكوانرت، تر، قاسم عبده قاسم، م2، ط1، المجلد 2، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007.

20. الحاج شاوش، محمد بن رمضان، "**باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**"، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1995.

21. حنيفي هلايلي، "**أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**"، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.

22. سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**" ، مر، عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.

23. شوقي ضيف، "**المعجم الوسيط**"، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004.

24. شوقي عطاالله الجمل، "**المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا- تونس – الجزائر- المغرب)**"، ط1، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 1977.

25. صالح عباد،"**الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م)**"، ط1، دار الألمعية، الجزائر، 2013.

26. صالح فركوس، " **تاريخ الجزائر ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال1962**"، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر.

27. صلاح العقاد، "**المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، تونس، المغرب الأقصى**"، ط 6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993.

28. عائشة غطاس وآخرون،" **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**"، منشورات المركز الوطني للبحوث ، 2007.

29. عبد الرحمان الجيلاني،" **تاريخ الجزائر العام**"، ج3، دار الثقافة، بيروت، 1980.

30. عبد العزيز الدوري،" **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي**"، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.

31. عبد القادر الجيلاني، عبد الرحمان الجيلاني، "**تاريخ الجزائر العام**"، ج3، ط6، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1402هـ/1983م.

32. عزيز سامح التر، "**الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**"، تر، محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.

33. عقاب محمد الطيب، "**الأواني الفخارية الإسلامية دراسة تاريخية فنية مقارنة**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1984.

34. علي خلاصي،" **قصبة مدينة الجزائر**"، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ج1، 2007.

35. علي عبد القادر حليمي، "**مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م**"، ط1، المطبعة العربية، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972.

36. عمار بن خروف، "**العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 16م**"، دار الأولى للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.

37. عمار بوحوش، "**التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**"،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997.

38. عمار عمورة، "**موجز في تاريخ الجزائر**"، ط1، دار الريحانة، القبة، الجزائر، 2002.

39. الغالي غربي وآخرون،" **العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والأبعاد**"، دار هومة، الجزائر،2007.

40. فوزي سعد الله، "**قصبة الجزائر الذاكرة والحاضر والخواطر**"، الجزائر، 2007.

41. القاسمي محمد سعيد، "**قاموس الصناعات الشامية**"، تح وتق: ظافر القاسمي، جزءان، باريس، 1960.

42. كورين شوفالييه، "**الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر1510/1541**"، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

43. لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007.

44. مجموعة مؤلفين، "**الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**"، تق، أكمل الدين إحسان أوغلي، تر، صالح سعداوي، م1، مركز الأبحاث والتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، أريسكا، 1999.

45. محمد أحمد دهمان،"معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي"، ط1، دار الفكر المعاصر، لبنان،1990.

46. محمد العربي الزبيري،" **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1752/1830م**"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

47. محمد عبد الستار عثمان، "**المدينة الإسلامية**"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ذي الحجة، 1408هـ/1998م.

48. محمد فركوس، "**الحاج أحمد باي قسنطينة(1826-1850)**"، (د ط)، الجزائر 1993.

49. محمود صبح، "**رأس المال العامل وتمويل المشروعات الصغيرة**"، ط2، البيان للطباعة والنشر، القاهرة، 1999.

50. مختار حساني وآخرون، "**التاريخ العسكري للجزائر(من الفتح الإسلامي إلى القرن 16م)**"، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

51. مقلاتي عبد الله،" **المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر،(الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا)**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014.

52. المنور مروش،" **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة، الأسعار والمداخيل**"، دار القصبة، الجزائر، 2009.

53. مولود قاسم نايت بلقاسم، "**شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830**"، ج1، ط2، دار الأمة ، الجزائر ، 2007.

54. ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، " **الجزائر في التاريخ**"، الجانب الاقتصادي والاجتماعي من تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني،(ج4)،(د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984.

55. ناصر الدين سعيدوني، "**دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)**"،(د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

56. ناصر الدين سعيدوني، "**ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**"، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

57. نور الدين عبد القادر، "**صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**"، ط2، الجزائر، 1965.

58. وليم سبنسر، "**الجزائر في عهد رياس البحر**"، تق، عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

59. يحي بوعزيز، " **الموجز في تاريخ الجزائر**"، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

ب. باللّغة الأجنبية

D THANINVILLE, Mèmoire sur Alger en 1809. Par Pub. g. esquer, lib. Champion,paris,1927.

L. Valensi: Le Maghreb avant la prise d'ALGER (1790- 1830). Flammarion,Paris,1969.

رابعًا: الرسائل العلمية

60. جليلة بن العمودي، "**استراتيجية تنمية قطاع الصناعة التقليدية والحرف بالجزائر في الفترة 2003. 2010** "، دراسة حالة وير نظام إنتاج محليSPL ، بحرفة النسيج التقليدي

بمنطقة تقرت، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الاقتصادية، (غير منشورة)، إشراف، بن عيسى محمد المهدي، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة ، 2012/2011.

61. خليفة حماش، "**الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، (غير منشورة)، إشراف، فاطمة الزهراء قشي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 1427هـ/2006م.

62. شريفة طيان، "**الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني**"،(**دراسة أثرية فنية**)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية،(غير منشورة)، إشراف، صالح بن قربة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008/2007.

63. عائشة غطاس، "**الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر1700-1830، مقارنة اجتماعية اقتصادية**"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، إشراف، مولاي بالحميسي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر،2000-2001م، ج1.

64. علمي لزهر ،" **أهمية نظام المعلومات التسويقي في اتخاذ القرارات التسويقية**"، رسالة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير في العلوم الاقتصادية،(غير منشورة)، فرع التسيير، جامعة الجزائر،2006/2005.

65. علي شبيطة، "**الصناعات التقليدية الفنية في الجزائر، دراسة سوسيو ثقافية للمنتوج الحرفي التقليدي جميلة -نموذجا-**"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع (غير منشورة)، إشراف أنيسة براهيم الرحماني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور أبو القاسم سعد الله، الجزائر2، بوزريعة، 2014-2015.

66. فاطمة الزهراء قشي، "قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشرللهجرة(من أواخر القرن 18م/إلى منتصف القرن 19م)"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة تونس الأولى 1998.

67. فلة الفيشاعي، "**النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني(1771م-1837م)**"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، (غير منشورة)، إشراف، ناصر الدين سعيدوني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 1989-1990م.

68. نوال بن صديق، "**التكوين في الصناعات والحرف التقليدية بين المحافظة على التراث ومطلب التجديد**"، رسالة ماجستير في التاريخ (غير منشورة)، إشراف، بوحسون العربي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013/2012.

69. وحيد خينش، "**المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني . الجيش إنموذجا .** "، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر،(غير منشورة)، إشراف، الأمير بوغدادة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015/2014.

خامسًا: المجلات

70. طوني فكري، "**نظام الجمارك والتجارة الخارجية لإيالة الجزائر**"، المركز الوطني للدراسات التاريخية، مجلة التاريخ، رقم7، الجزائر، 1979.

71. محمود مؤيد وحمدان المشهداني، ورشيد رمضان سلوان، "**أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني1518،1830م**"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة علمية محكمة)، العدد16، المجلد5، جامعة تركت، أفريل2013.

72. ناصر الدين سعيدوني،" **ثلاث رسائل تتعلق بأوضاع الجزائر**"، مجلة التاريخ، 1979.

سادسًا: الملتقيات

73. ناصر الدين سعيدوني،" **ملكية الأراضي بالجزائر أواخر العهد العثماني وتأثيرها على البنية الاجتماعية بالريف**"، في أعمال الملتقى الثالث لتاريخ وحضارة المغرب، ج1، الجزائر، 1983.

سابعًا: المواقع الإلكترونية

74. إدارة الموقع "**طبقة التجار والحرفين من خلال المأثورات الشعبية**"، (الوسيط على الخط)، يوم 2008/10/23..www.hamahir.alwehda.gov.sv.

فهرس المحتويات

مقدمة 1
مدخل تمهيدي 9
1. تعريف الصّنعة والحرفة: لغة واصطلاحا. 10
2. المصطلحات المشابهة للحرفة. 13
3. الحرفة في الجزائر قبيل مجيء العثمانيين. 14
4. الأوضاع السياسية التي عاشتها الجزائر عقب التواجد العثماني. 15
5. الوضع الاقتصاديّ والاجتماعيّ. 19
الفصل الأوّل: مدخل إلى الصّناعة الحرفيّة في الجزائر 22
المبحث الأوّل: البنية الاجتماعيّة بالمدن والأرّياف. 23
المطلب الأوّل: سكان المدن. 23
المطلب الثّاني: سكّان الأرّياف. 29
المطلب الثّالث: مميزات الوضع الإجتماعي في المدن والأرّياف 32
المبحث الثّاني: نوعية النّشاط الإقتصادي بالمدن والأرّياف. 34
المطلب الأوّل: الزّراعة. 35
المطلب الثّاني: الصّناعة. 42
المطلب الثّالث: التّجارة. 45
المبحث الثّالث: الحرفة كنشاط أساسي لدى سكان المدن والأرّياف. 48
المطلب الأوّل: أنواع النّشاطات الحرفية لدى سكّان المدن والأرّياف. 49
المطلب الثّاني: أهمّية الحرفة لدى سكّان المدن والأرّياف. 52
المطلب الثّالث: التّأثير العثماني على النّشاط الحرفي. 54
الفصل الثّاني: النشاط الحرفي في الجزائر في العهد العثماني 59
المبحث الأوّل: نبذة شاملة للنّشاط الحرفي في الجزائر في العهدّ العثماني. 60
المطلب الأوّل: مقوّمات النشاط الحرفي. 60
المطلب الثّاني: التّنظيمات الحرفيّة في العهد العثماني. 63
المطلب الثّالث: العائلات الحرفيّة في الجزائر. 67
المبحث الثّاني: أهمّ النّشاطات الحرفية في الجزائر. 69

المطلب الأوّل: الحرفة في المجال الزّراعي. 69
المطلب الثاني: الحرفة في المجال الصناعي. 71
المطلب الثّالث: الحرفة في المجال التّجاري. 74
المبحث الثّالث: واقع الحرفة في الجزائر وما آلّت إليه. 77
المطلب الأوّل: مميزّات وخصائص الحرفة. 77
المطلب الثّاني: المشاكل الّتي واجهت النشاط الحرفي. 79
المطلب الثّالث: بعض الحلول للنّهوض بالنّشاط الحرفي في الجزائر. 81
الفصل الثّالث: أنموذج عن القصبة في النشاط الحرفي 84
المبحث الأوّل: مدخل لمدينة القصبة والنشاط الحرفي بها. 85
المطلب الأوّل: المفهوم وأصل التسمية. 85
المطلب الثّاني: الموقع ومراحل التأسيس. 86
المطلب الثّالث: القصبة كمقرّ للحكم. 89
المبحث الثّاني: واقع النّشاط الحرفي في ظل الحكم العثماني بالقصبة. 91
المطلب الأوّل: العلاقة بين العثمانيين والحاكم (القصبة والبّاب العالي). 91
المطلب الثّاني: الحياة الاقتصاديّة في مدينة القصبة. 92
المطلب الثّالث: الصناعات التي عرفتها مدينة القصبة. 94
المبحث الثّالث: نماذج عن النشاطات الحرفية الّتي اشتهرت بها مدينة القصبة. 95
المطلب الأوّل: صناعة البارود. 95
المطلب الثاني: صناعة المدافع. 98
المطلب الثّالث: صناعة السفن. 100
الخاتمة 104
الملاحق 109
ببليوغرافيا البحث 121
فهرس المحتويات 131

تم بحمد الله